هولدرلن

خبز ونبيذ

وقصائد أُخرى

اختارها وترجمها وقدّم لها: أمارجي

الخرافات التي تهجرُ الأرضَ الآنَ
عن الروحِ التي كانت هنا وستعود،
هي ذي تعود إلينا مجدداً- ما أكثر
ما سنتعلّمُ من الزّمنِ المهدورِ خطفاً.

صورُ الماضي لا تغفلُ عنها الطّبيعة
أبداً. فما إن تكلحُ الأيّامُ في أوجِ الصّيف،
حتّى ينزلَ الخريفُ إلى الأرضِ مجدّداً،
ومجدّداً تحومُ أرواحُ المطرِ في السّماء.

في رمشة عينٍ كلُّ شيءٍ انقضى،
الحارثُ الذي كان مرئيّاً عندَ محراثه
يرى كيف يبلغُ العامُ خُتمتَه جذلاً- بصُوَرٍ
كمثلِ هذه تتمُ أيّامُنا دورتَها.

كرةُ الأرضِ المدبّجة بالصّخر
ليست كغيمةِ المساءِ التي تتلاشى،
إنّها مرئيّةٌ في ذهبِ النّهار
وذا هو الكمالُ الذي لا يكدّره شيء.

ane e vino e altre poesie

خُبزٌ ونبيذٌ

وقصائدُ أُخرى

☒ لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومسبقاً.

هُولْدِرلِن

خُبزٌ ونبيذٌ
وقصائدُ أُخرى

اختارَها وترجمها وقدَّم لها: أمارجي

التكوين

الطبعة الأولى 2016

© حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة

لِـ دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر

هاتـف: 00963 112236468

فاكس: 00963 112257677

ص. ب: 11418 ، دمشق - سوريا

taakwen@yahoo.com

مُطارَحَةُ المُنادَى في ليلِ هولدِرلِن وبرقِه

I

أن نقاربَ هولدرلِن، يعني أن نتجهَّزَ بتَخْلِيَاتٍ وترحاباتٍ أكبر.

والتَّخْلِياتُ هنا ليست ضدَّ الاستجماع؛ إنَّها إيعازٌ إليه، إلى تجويقِ شفقِ الدَّاخلِ وتجييشه، إحرازاً للمُشرَّع، وغُنْماً للامتناهي. التَّخْلِياتُ لعبةُ "تحويلٍ"، حيلةُ "افتراعٍ مقلوب" تحضُّ "الكونيَّ" أن يلجَ جُبَّ "المفرَد" ويتموَّه به، حيث لا يكون مِن سبيلٍ لنا إزاء القصيدة ـ قصيدة هولدرلِن ـ إلا أن ننغمس في تلك الغِيلة: غِيلةِ "المزدوج". المزدوجُ ذاتُه، المُلبِسُ ذاتُه، المُطبِقُ المُشفِقُ ذاتُه، هو أيضاً الانفلاقُ الذي فيه تنقلب الذَّاتُ فرجةَ ضوء. ولكي يتسنَّى للذَّات إنجاز هذا المنقلَب، فإنَّها مدعوَّةٌ، أوَّلاً، أن تنفسقَ عن قشرتها، وتنفسخَ عن اعتلاقاتها، ثمَّ أن تستنهضَ لبَّها بأكمله، وتمسكه بقوَّةٍ أمام انثيالاتِ العُلْويِّ اللهبَى / بقوَّةِ نسغِها فحسب: [الذَّاتُ في التَّخْلِيات ثمرةُ ضوءٍ مختلَبةٌ بصنيعِ الخواءِ المالئ، لا تبالي بحتميَّةِ البرقِ، ولا ببرقِ المحتَّم] ـ،

ما التِّرحاباتُ؟ وكيف تحقِّق سبلَها في الذَّات؟ أو كيف تتحقَّقُ الذَّاتُ في سبلِها؟ المطلوب من الذَّات، هنا، هو أن تخلخلَ نمطَها الوجوديَّ وتفكِّكه، انطلاقاً من زلزلةٍ تصدر عن أعماقها هي، وتتحوَّل عبرها مِن صفتها تصادياً للوهجِ الشِّعريِّ إلى صوتٍ يؤسِّسُ صائتات بدئه الخاص كما لو كانت، في الأصلِ، لغةً لا ترجيعاً. إنَّ على الذَّات أن تتذاوبَ مع "ما فوقَ اللغة" حيالَ لغةٍ فائقة؛ أن تنفتحَ بالشِّعريِّ على الشِّعريِّ؛ أن تبسط نمط وجودها التِّرحابيِّ الطَّارف أمام المنتظَر وما سوف يأتي. هكذا فقط، تصير الذَّات [الذَّات التُّرابيَّة القارئة] الكنفَ القابلَ لحلول الإلهيِّ، لمَقْدَمِ "الموكب" الذي هو "القران" وهو "البدءُ العظيم" على حدِّ قول هيدغر. هكذا، تكون هُيِّئتْ للمقاربة المقدَّسة، بما هي ندُّ [الذَّات السَّماويَّة الشَّاعرة] ومُعادِلُها.

II

إنَّه الإصغاءُ الرَّاصدُ، الإصغاءُ الكاهنُ، إصغاءُ الإصغاءاتِ جُمْعاً: **سِلْوِيْتُ** ليلٍ ولهب ـ ذلك الذي يَدخلُ هولدرلِن في لُحْمتِه، طريحَ تفتُّحِ الكلِّيِّ وانغلاقه، إذ تنالُه نُحمى التِّيه. التِّيه، بما هو هُويٌّ في الخلائط، هو بؤرة احتدام. والخلائطُ، بما هي "تحريكُ نُظُمٍ"، هي "تسوية وحدةٍ". كلُّ ما يتحرَّك، يتحرَّك ليفتحَ "قِدَمَه" للآخر، وليلجَ "قِدَمَ الآخَر"، وينصهر

معه في النَّار الجوهريَّة: "القِـدَمُ"، بوصـفه باطنـاً زمنيَّـاً، هـو أعمق البواطن، وهذا ما يلتقي مع الشِّعر، مع المستوى الذي يقيم فيه الشِّعر. لكنَّها تسويةٌ ضاريةٌ، هذه التي تختطف الشَّاعر إلى نواتها، وتكبِّله في المضمَر السَّرمَدِ البَهْمِ، جوريَّةَ توسُّطٍ بين موجةٍ باءةٍ، وموجةٍ تَطَلُّقٍ، يرتجُّ الصَّميم الشِّعريُّ للعالم. الشَّاعرُ هو الصَّميمُ، الجوريَّـةُ الـتي تفـور، فراشـةُ الرَّحـى، القطبُ الذي منه تتوهَّجُ غفليَّةُ الأشياء. ما "يقوم شِعريّاً"، مِـن ثَمَّ، إنَّما يقومُ على آبارِ الشَّواش.

III

لأنَّه ما مِن شاعرٍ، مثل هولدرلِن، جُنَّ بالنُّـسوغ، وجُنَّـتِ النُّسوغ فيه.

IV

تَفلُّكُ اللامرئيِّ تَفلُّكُ بذرة المرئيِّ في رئة الأرض؛

وتَفلُّكُ المرئيِّ تَفلُّكُ فاكهة اللامرئيِّ في جرنِ السَّماء ــ؛

بينهما، ينزلق الشَّاعرُ في الشَّكيرِ الأسوَد، في ليـلٍ لا حـدَّ له، متَّحداً بعنصره. هو: لغةٌ نسغٌ: ماءٌ يؤوِّلُ النَّـارَ/ يمتـدحُها ــ أصغ ــ الفجرُ لَعوةٌ ناصعةٌ عَلِقتْ في فمه: الفمُ كائنُ العتمـةِ اللازمنيَّة. للغيبِ والنِّسيان والعدم، في الفمِ، سُكنى أرحـب.

لا مكان يتحمَّلُ وطأةَ التشقُّقِ والإزهـار إلا الفـم؛ فـمٌ تفتـتحُ العتمة فيه، للنُّور، وليمةَ اللامؤوَّل. فقط هو، وفقـط هنـاك، لأنَّه الأرضُ والسَّماء مُقحَمَتان في بعضهما، حديقةُ الحِـداد، والنِّطاقُ الوحيدُ لما يهوي وما ينـهض. هنـاك، حيـث العتمـةُ عتمةٌ فقط بصفتها خزنةَ فجرٍ، وليس الفجـرُ فجـراً إلا بـصفته مخزونَ عتمة. كيفما تحرَّكَ نهارٌ في الفـم تحـرَّكَ بـين لـيلَين، ليلِ مَحوٍ وليلِ كتابة. ثمَّة اختبالٌ مُضاعفٌ ههنا: الشِّعر يُختبَـلُ في طاسِه اللحميِّ مختصَراً في فـمٍ؛ والفـمُ يُختبَـلُ في طاسِـه الكوسموغرافيِّ مختصَراً في نسغٍ. هذا يجعلنـا نتـساءل، هـل هو هولدرلِن المختطَفُ إلى ليلِ الجنون، أم أنَّـه ليـلُ الجنـون المختطَفُ إلى هولدرلِن؟ لا نعرف، وأبداً لن نعـرف، وجـلُّ ما نزعمُ أنَّنا نعرف: أنَّ هـذا الليـل هـو ليـلُ هولـدرلِن، ليلُـه لوحدِه، الذي عتمتُـه إعـادةُ كتابـةٍ لأنطلوجيـا النُّـور، خُرمـاً خُرماً، وطبقةً طبقة. هو ليس "استراحةً تحدسُ بالنَّهار"، كمـا يرى هيدغر في "إنشادِ المنادَى"؛ ليس مُناخـاً مِـن مُتباطئـاتٍ موسيقيَّة؛ وإنَّما هو، في رؤيتنا، ليل تحوُّلاتٍ هائجة ومُزبـدة وهـادرة، مُـسرفة في إنـشاء الـضَّوء. ليـلٌ محـارةٌ تـشكِّلُ في جوفها مصيرَ القصيدة.

V

عتمةٌ دُبالُ ذاتِها؛

نهارٌ يكبرُ في الفم -،

لا شيء مُصانٌ بعدئذٍ. الآلهةُ نفسُها معرَّضةٌ لبرقِ الشَّاعر؛ البرق الذي يُكمِلُ العِناق بسيفِ الشِّقاق. عندئذٍ، الأرضُ والسَّماء، البشر والآلهة، الليل والنَّهار، ليست أكثر من مفاهيم ثنائيَّاتٍ متحلِّلة في شفقٍ واحد. كذا، تتضامُّ الحوَّاسُّ في سداةٍ واحدة اسمُها الإصغاء: يصبحُ الإصغاءُ رائياً يدرِّبُ الفمَ على النُّبوَّة.

لعلَّ هولدرلِن اقترب أكثر ممَّا يجب من دائرة التَّكوين، بوحدتِها الأولى.

أنصتَ عن كثب إلى مبدأ الخلق؛ فنطقَ الطَّبيعةَ كما قد ينطقها إلهٌ، أو نِصفُه.

هولدرلِن هو المبدأ نفسُه؛ ذاكرةُ القوى القديمة؛ وهو: افتتاحٌ جديدٌ للخليقة.

أمارجي

"حين كنتُ فتىً"(1)

حين كنتُ فتىً
طالما نجَّاني إلهُ
مِن صخبِ البشر وبطشِهم؛
فكنتُ ألهو آمناً مطمئنّاً
وسطَ زُهَيراتِ الغاب،
وكانت أنسامٌ سماويَّةٌ
إذّاكَ تلهو، هنالكَ، معي.

وكما تُبهِجُ دائماً
القلبَ الزَّرْعيَّ، إذْ يمدُّ
النَّبْتُ نحوَكَ
أذرعَه اللطيفة

---

(1) كُتبت في الفترة الأخيرة من إقامة هولدرلن في فرانكفورت، 1797-1798، ونُشِرت لأوَّل مرَّة سنة 1826؛ (م).

كذلك تُبهِجُ القلبَ فيَّ
يا أبتِ **هِليوس**، وكمثل **إنديميون**
كنتُ حبيبكَ الأوحد،
أيُّها القمرُ المقدَّس!

ها أيَّتها الآلهةُ
الرَّفيقةُ الرَّضيَّة!
وددتُ لو كنتِ تعلمين
كم أحبَّتكِ روحي!

وما كنتُ، بالطَّبعِ، أناديكِ
بالأسماءِ آنذاك، ولا كنتِ أنتِ
تتلفَّظين باسمي، كما يفعل البشر،
وكأنَّهم يعرفون حقَّاً بعضهم بعضاً.

لكنَّني عرفتُكِ
بأفضل ممَّا عرفتُ أحداً من البشر؛

فقِهتُ سكونَ روحِ الكون،
ولم أفقه قطُّ كلامَ البشر.

الأحراشُ، بتآلُفِ
وشوشاتِها الرَّخيم، فقَّهتني؛
والحبُّ تعلَّمتُه وسطَ الزَّهَر.

كذا، في أحضانِ الآلهةِ نشأتُ وشبَبْت.

عاشقان[1]

افترقنا! رأينا في ذلك خيراً وحكمة،
فلِمَ نحن خائفان الآن، وكأنَّنا أردينا الحبَّ قتيلاً؟
آه! لم نعرف أنفسَنا إلا قليلاً؛
ثمَّة إلهٌ خفيٌّ فينا، هو مَن يحكمنا.

---

(1) تعود إلى فترة إقامته في فرانكفورت (1796-1798)؛ (م).

إمبادوقليس[1]

إنَّك تبحث عن الحياة، تتقصَّاها، ونارٌ إلهيَّةٌ
تنبجسُ نحوكَ من أعماق الأرضِ وتتوهَّج،
وإذْ يستبدُّ بك توقٌ جارفٌ
فإنَّك ترمي بنفسِك في لهيب إتنا[2].

كذلك ذوَّبَ اللآلئَ في النَّبيذ
الزَّهوُ المتَّقدُ للملِكة، أو هكذا اشتهتْ! آهِ ليتكَ،
أيُّها الشَّاعر، لم تُلْقِ ثراءَكَ قرباناً
في الكأسِ الدِّهاقِ الفوَّارة!

---

(1) كان فيلسوفاً يونانيّاً، وفلسفته تُعَدُّ المنشأ لنظريَّة العناصر الأربعة، وقد اقترحَ وجود نوع من القوى المحرِّكة التي تقوم بمزج أو عزل تلك العناصر، وهذه القوى هي الحب والبغض. يعود تاريخ هذه القصيدة إلى سنة 1797؛ (م).

(2) بركان في جزيرة صقلية بين مدينتي كاتانيا ومِسِّينا، (م).

ولكنَّك مقدَّسٌ عندي قداسةَ قوَّةِ الأرضِ نفسِها،
التي استلَبَتْكَ منِّي، أيُّها الكَمِيُّ الذَّبيح،
ولَكَم وَدِدتُ لو أتبعكَ إلى هُوَّتِك،
لولا أنَّ الحُبَّ يلجمُني، أيُّها البطل.

تهليلٌ بشري(1)

ألمْ يغدُ قلبي مقدَّساً، طافحاً أكثر بجمالِ الحياة،
مُذْ وقعتُ في الحبِّ؟ لماذا، إذنْ، أحببتموني أكثر
حين كنتُ أشدَّ هِياجاً وزهواً، حين كنتُ مترعاً
أكثر بالكلمات، وإنَّما أكثر خواءً؟

حقّاً، الجمهورُ يؤْثِرُ أيما شيءٍ يُباع في السُّوق
ويُشرَى؛ لا أحد في الخلْقِ، إلَّمْ يكنْ عبداً،
يستطيبُ عتوَّ البشر وبطشهم. وحدهم أولئك
الذين هم إلهيُّو السَّجيَّة يؤمنون بالآلهة.

---

(1) هذه القصيدة والتي تليها من قصائد هولدرلن القصيرة التي تعود إلى عام 1797؛ (م).

آنذاك والآن

في صِباي عرفتُ غبطةَ الفجرِ
وأدمعَ الليل؛ أمَّا الآن وقد هَرِمْت
فإنَّ نهاراتي تبتدئ بالشَّكِّ، غيرَ أنَّ
خُتْمتَها مترعةٌ بالقداسةِ والصَّفاء.

إلى ديوتيما[1]

تعالَي وانظري إلى الغبطة من حولِنا: الشَّجرُ يطوِّحُ بأغصانه
في الرِّيح النَّديَّةِ كما تطوِّحُ
راقصةٌ بشَعرِها، وكمثلِ أناملِ النَّشوةِ على قيثارٍ يضجُّ لحناً
تلاعبُ السَّماءُ الأرضَ
بأشعَّةِ الشَّمسِ وخيوطِ المطر، فيما الضَّوء والظِّلال
يطويان التِّلالَ في البعيد
بتعاقبٍ وانسجامٍ كنغماتٍ لا تُحصَى تنثالُ بتنافرٍ آسِرٍ
على أوتارِ بُزُق.
بالقَطْرِ الفضِّيِّ الرَّفيقِ صافحتِ السَّماءُ، أوَّلَ الأمرِ،
شقيقَها النَّهرَ،
وها هي الآنَ خفيضةٌ دانية، تصبُّ نعيمَ قلبِها طُرًّا
على الشَّجرِ والنَّهرِ و...

---

(1) قصيدة غير مكتملة؛ أغلب الظَّنِّ أنَّها كُتبتْ سنة 1797 كواحدة من قصائده الأولى إلى حبيبته سوزيته جونتار؛ ولم تُنشَر حتَّى سنة 1908؛ وديوتيما التي يُطلق هولدرلن اسمها على سوزته هي الكاهنة اليونانيَّة التي علَّمت سقراط الحكمة؛ (م).

وخمائلُ ورافةٌ، ووجهُ السَّماءِ في النَّهر يخبو
ويأفلُ أمامَنا،
والجبلُ المستوحدُ، بأكواخه الصَّغيرة، وصخورِه التي
يخفيها في أحضانه،
والتِّلال التي تحتشدُ من حولِه مثلَ حملانٍ
مكسوَّةً بزهرٍ
ناعمٍ كالصُّوفِ إذ تتشرَّبُ ينابيعَ الجبلِ
العذبة والرَّائقة،
والسَّهلُ النَّافثُ ضبابَه بما فيه من زهرٍ وبذار،
وهذه الحديقة هنا،
وكلُّ الأشياء القاصية والدَّانية تفرُّ منَّا وتتبدَّدُ في شواشٍ جذِلٍ،
فيما الشَّمسُ تنطفئ.
لكن ها قد مرَّ دافقاً طوفانٌ سماويٌّ لِتوِّه
والأرضُ فتيَّةً ونقيَّة
خرجتْ مع أبنائها المغبوطين من المغطس.
أشدَّ توقُّداً
تتلألأ خضرةُ الأوراق، وأشدَّ تذهُّباً تبرقُ
تويجاتُ الزَّهرِ
البيضُ بياضَ القطعانِ التي ألقاها الرَّاعي في الماء...

ديوتيما[1]

تصمتين وتتألَّمين، لأنَّهم لا يفهمون
نبلَ حياتِك. تُطرقين بصركِ، وتصمتين
في وَضَحِ النَّهارِ البهيِّ باحثةً سُدىً
عن نسبِكِ الملكيِّ تحت الشَّمس

عن رَهْطٍ كانوا أتراباً لكِ، وكمثلِ
قمم الغابِ الأليفة تنعَّموا
ذاتَ زمنٍ بالأرضِ والحبِّ،
بالسَّماء التي طالما طوَّقَتْهم وهم

يتغنَّون بأصلِهم في أعماق قلوبهم -
أتكلَّم عن أولئك المخلصين، الشَّاكرين،

---

(1) هذه القصيدة المكتوبة في صيف 1800، هي توسُّعٌ في مقطعين كان كتبهما هولدرلن سنة 1798، وقد نُشِرتْ أوَّلَ مرَّةٍ سنة 1826؛ (م).

حاملي الغبطة إلى قعرِ تارتاروس[1]،
عن رجالٍ كالآلهة، أحرارٍ،

دَمِثين وعُتاة، كأرواحٍ متوارية،
مَن دمعتْ قلوبهم طِوال عامِ الحِداد،
يوماً إثر يوم، إذْ لا مرشدَ لهم
إلا أوَّل النُّجوم، ولا شيء

يسكِّن حُرقتهم على الموتى.
ولكنَّ الزَّمن يشفي. والآلهة كما هم،
عِتِيٌّ وسِراع. والطَّبيعة تطالبُ
بنصيبها القديم والثَّابتِ من الغبطة.

انظري، يا حبِّي، ذلك مُقبلٌ
قبلَ أن يغوصَ ضريحُنا في التُّراب. كلماتي
الزَّائلة ستبصرُ اليومَ الذي تُنَصَّبين فيه
بين الآلهةِ والأبطال: اليومَ الشَّبيهَ بكِ.

---

(1) هو في الإلياذة سجنٌ تحت الأرض أبعد من هاديس يسكنه الذين تمرَّدوا في حياتهم على زيوس، (م).

التماسُ مغفرة[1]

لَكَم أقلقتُ سكينتكِ الإلهيَّة المذهَّبة،
أيَّتها المقدَّسة، أنا الذي لم تعرفي عنِّي
غيرَ أحزانِ الحياة
الأكثر عمقاً واستتاراً.

آه! انسي ذلك الآن، واغفري لي!
فأنا كالغيمِ على وجه القمرِ الوديع
ماضٍ، وأنتِ باقيةٌ كما أنتِ، مشعَّةً
في غِلالةِ جمالِكِ، يا نوريَ الأعذب!

---

(1) كُتبت سنة 1798، ونُشِرت سنة 1799؛ (م).

قوسُ الحياة

(الصِّياغة الأولى 1798)

نحو الأعالي هامتْ روحي، ولكنَّ الحُبَّ
جذبها برفقٍ إلى أسفل؛ اللوعةُ
أوَّدَتها بقوَّةٍ أكبر؛ هكذا أعبُرُ قوسَ الحياة،
وهكذا أعودُ إلى حيث ابتدأت.

سقراط وألكيبيادِس[1]

"لِمَ، يا سقراط المقدَّس، تبجِّل
هذا الفتى على الدَّوام؟ ألا تعرف شيئاً أعظمَ منه؟
لِمَ تنظرُ عينُك إليه بحبٍّ
كما لو كانت تنظرُ إلى إله؟"

مَن تفكَّرَ في الأكثر عمقاً، عَشِقَ الأكثر توقُّداً،
ومَن تحرَّى العالَمَ، فقِهَ جموحَ الشَّباب،
وفي النِّهاية، كثيراً ما
يجنحُ الحكماء نحو الجمال.

---

(1) ألكيبيادِس هو رجُل سياسة وخطيب وقائد عسكري من قادة أثينا؛ كان أحد حرَّاس بريكليس والتلميذ المفضَّل لسقراط. يعود تاريخ القصيدة إلى سنة 1798؛ (م).

إلى الشُّعراء الشَّباب[1]

عمَّا قليلٍ، يا أخوتي الأعزَّاء، ينضجُ فنُّنا
بعدما اختمرَ، كالغُلمةِ، أمداً طويلاً،
لِيبلُغَ سكونَ الجَمال؛
فكونوا أبراراً، كالإغريقِ مِن قبلِكم!

ارأفوا بالفانين، ولكن أحِبُّوا الآلهةَ أيضاً!
استكرِهوا السَّكرةَ كما يُستكرَهُ الصَّقيع! لا تعِظوا ولا تصِفوا!
فإذا خِفتُم مِن معلِّميكم جَلَفاً،
التمسوا النُّصْحَ من الطَّبيعةِ العظيمة!

(1) يعود تاريخ القصيدة إلى سنة 1798؛ (م).

"مرَّةً، مشتِ الآلهةُ"(1)

مرَّةً، مشتِ الآلهةُ بين البشر؛
الميوزاتُ البهيَّات وطِئن الأرضَ مِثلكِ،
وكذا فعلَ **أبوللو** الفتيُّ، المُلهِمُ الشَّافي.
أنتِ لي كما لو أنَّ أحدَ المؤلَّهين
بعثني إلى الحياة؛ فإذا برسمِكِ الأثير
يرتحلُ معي، حيثما أجَنُّ وأدمى حُبًّا،
حتَّى الممات. هو ذا ما عرفتُه منكِ ونِلْته.

هَبينا الحياةَ إذنْ؛ يا خَدِينتي في الكَرْب،
في توقي السِّرَّانيِّ، المخلِصِ المؤمِن، إلى زمنٍ أجمل.
ها نحنُ! فلئنْ تذكَّرونا في قادم السِّنين،

---

(1) يعود تاريخ هذين المقطعين ـ من قصيدة غير مكتملة ـ إلى ربيع 1799، ونُشِرا لأوَّل مرَّة سنة 1909. لم يُعثَر على بقيَّة القصيدة، في حال كان هولدرلن قد أتمَّها بالفعل، والمقطعان موجَّهان لحبيبته سوزيته جونتار؛ (م).

عندما ينتصرُ الرُّوحُ من جديد، لَيقولُنَّ:

ذانِكَ المتوحِّدان، خَلَقا بالعشقِ وحدِه

كوناً سرِّيّاً، لم يعرِفه إلا الآلهة. أولئك الذين

لا يعبؤون إلا بما هو فانٍ، ينتهون في التُّراب؛ لكنْ

تِجاه النُّور، نحو روحِ الكون الخالص،

يصعدُ الموقنون بالحُبِّ الجوهريِّ،

بالرُّوحِ الإلهيِّ. أولئك، بالصَّبرِ والأمل،

بالصَّمتِ، يقهرون إلاهةَ القَدَر.

إلى إله الشّمس[1]

أين أنت؟ روحي المنتشية ببُحرانِ غبطتِك
تهبطُ الآنَ في غَلَسِ ذاتِها. ذلك أنّي لِتَوِّي
رأيت إلهاً بهيّاً، كفتىً فائق الإغواء
منهوكِ القوى بعدَ طولِ مسير،

يغسلُ شَعرَه النَّضير في ذهبِ الغيوم:
عيناي تقفوانه أنّى التفت.
لكنّه غادَرَنا الآن، مضى بعيداً
صوب أقاليم لا تزال تحبُّه وتبجِّله.

أحبُّكِ، أيّتها الأرض، لأنّكِ حَدَدْتِ معي؛
وكما تُنَوَّمُ آلامُ الأطفال، ينقلبُ هذا
الحِدادُ نوماً، أو لكأنّه عصفُ الرِّياح إذ
تصلُّ وتهسهسُ في أوتار قيثارة

---

(1) كُتبت سنة 1798، ونُشِرت سنة 1846؛ (م).

إلى أن تستدرجَ الأناملُ العارفةُ

النَّغمَ الأجوَد، فترتعشُ الغيوم والأحلام

لاهيةً حولَنا؛ وإذَّاكَ يعودُ الحبيب،

وتتأجَّجُ الحياة والرُّوح فينا من جديد.

إلى ربّاتِ القَدَر[1]

جدنَ عليَّ بصيفٍ واحدٍ، يا كلِّيَّاتِ القدرة،
وخريفٍ واحدٍ أنضِجُ به أغنيتي،
علَّ قلبي يموتُ عن طيبِ خاطرٍ
وقد امتلأ عن آخِرِه بالمعازفِ العذبة.

الرُّوحُ المحجوبُ عنها الحقُّ الإلهيُّ بالحياة،
لن تَبْلُغَ السَّكينةَ في العالم السُّفليِّ أيضاً؛ لكن
إنْ أنا وُهِبتُ أقدسَ الأشياء،
القصيدةَ التي يصبو إليها قلبي -

فحينئذٍ أهلاً بكَ، يا صمتَ عالمِ الظِّلال!

---

(1) كُتبت سنة 1798، ونُشِرت سنة 1799. يُقال إنَّها واحدةٌ من قصائد هولدرلن القليلة التي أثارت اهتمامَ أمِّه، حيث استبدَّ بها القلق والخوف على مصير هولدرلن بسببها؛ (م).

مغتبطاً سأكون، حتَّى من غير قيثارٍ
يقودني نحو الأسافل؛ وأكون
عشتُ يوماً كالآلهة، ولن أطلب المزيد.

أغنيةُ هيبريون عن القَدَر[1]

عالياً في النُّور مقامُكِ؛ وطوافُكِ
على أرضٍ هشَّةٍ أيَّتها الأرواح المباركة!
أنسامٌ إلهيَّةٌ وضيئة
تمسُّكِ مسَّاً خفيفاً
كأنَّها أناملُ العازفةِ
على الأوتارِ المقدَّسة.

خِفافاً من القَدَر، كمثلِ
رضيعٍ غافٍ، تتنفَّسُ الآلهة؛
الرُّوحُ يزهرُ فيهم أبداً، مَصُوناً،
كما لو في قلبِ برعمٍ خجول،
فيما عيونهم المقدَّسة تحدِّقُ
في صفاءٍ سرمديٍّ هامِد.

---

(1) نجد القصيدة في الجزء الثَّاني المنشور سنة 1799 من رواية هولدرلن "هيبريون"؛ (م).

أمَّا نحنُ فلم نُحْبَ

موضعاً نستكينُ فيه.

ساعةً إثرَ ساعة،

تضمحلُّ آثارُنا، نتهاوى

كالعميانِ في هُوِّ الألم،

تماماً كدفقِ الماءِ مِن حَجَرٍ

إلى حَجَر، سنةً بعدَ سنة،

مندفعاً في مهاوي الغموض.

خمسةُ إبيجرامات[1]

بروس هيآوتون[2]

تعلَّمِ الفنَّ من الحياة، وتعلَّمِ الحياة من الفنِّ؛
فإن أصبتَ في رؤيةِ أحدهما، أصبتَ في رؤية الآخر.

سوفوكليس

كثيرون حاولوا أن يعبِّروا عمَّا هو أكثر فرَحاً في الفرَح،
ذلك وجدته في النِّهاية هنا، هنا في قلب الفاجعة.

---

(1) الإبيجرام هو كلُّ قصيدةٍ قصيرةٍ تحمل حكمةً أو سخريةً لا يخلوان من مفارقة؛ ويقول طه حسين عن هذا الفن في كتابه "جنَّة الشَّوك": "يجب أن أعترف بأني لا أعرف لهذا الفنِّ من الشِّعر في لغتنا العربية اسماً واضحاً متَّفقاً عليه، وإنما أعرف له اسمه الأوربي، فقد سمَّاه اليونانيون واللاتينيون "إبيجراماً" أي نقشاً واشتقُّوا هذا الاسم اشتقاقاً يسيراً قريباً من أنَّ هذا الفنَّ قد نشأ منقوشاً على الأحجار، فقد كان القدماء ينقشون على قبور الموتى وفى معابد الآلهة وعلى التَّماثيل والآنية والأداة البيت أو الأبيات من الشِّعر". يعود تاريخ هذه الإبيجرامات الخمسة إلى سنة 1799؛ (م).

(2) باللاتينيَّة وتعني "إلى نفسِه"؛ (م).

الشَّاعرُ الغاضب

لا يخيفنَّكم الشَّاعرُ في غضبتِه النَّبيلة؛ حرفُه يقتُل، ولكنَّ روحَه تُحيي الأرواح.

الهازلون

أعَهْدُكُم أبداً أن تلهوا وتهزلوا؟ لا مفرَّ لكم! أيُّها الصَّحْبُ؛ إنَّ هذا لَيَحِزُّ في قلبي، لأنَّه لا يلجأ إلى ذلك إلا القانطون.

جذرُ الشُّرورِ كلِّها

أن نكون على وفاقٍ، لَهُوَ إلهيٌّ وطيِّب؛ لكن كيف استحوذَ على عقول البشر أنَّه لا وجود إلا للواحدِ، وللواحدِ فقط؟

قوسُ الحياة

(الصِّياغة الأخيرة 1800)

أنتَ أيضاً طلبتَ الأسمى، ولكنَّ الحُبَّ
يردُّنا جميعاً إلى أسفل. اللوعةُ
تحنينا بقوَّةٍ أكبر؛ وأيّاً يكن، فالقوسُ لا تعودُ
إلى مبتدأ حالِها من غيرِ سبب.

عُلُوّاً أو دُنُوّاً! في الليل المقدَّس،
والطَّبيعةُ البكماء تهيِّئُ النَّهارات القادمة،
ألا يأخذُ القويمُ سلطانَه
على العالمِ السُّفليِّ المُعوَجِّ المحرَّف؟

هذا ما ثقِفْتُه! هذا ما حدستُه؛ أنَّكِ
أبداً أيَّتها الآلهةُ، يا حارسةَ وحافظةَ كلِّ شيء،

أبداً لن تقوديني بحكمةٍ، كدأبِ الفانين
من أساطين البشر، على طريقٍ واحدٍ قويم.

فليَخْبَر الإنسانُ كلَّ شيء، تقولُ الآلهة،
فليُغذَّ بقوَّة؛ هكذا، يتعلَّمُ أن يكون ممتنّاً
لكلِّ شيء، أن يفقه حرِّيَّته،
لينطلقَ، مِن ثَمَّ، نحوَ المُشتهَى.

الآلهة[1]

آيثر[2] أيُّها الصَّموت! لَكَم حفظتَ روحي
من بُرحاءِ الألم؛ وكم مرَّةً، وأنا
تحت أشعَّتك يا هليوس[3]، أنهضتَ
في قلبي كلَّ عزمٍ نبيل.

فقيرٌ هو، أيُّها الآلهة الرُّحماء، مَن يجهلكم؛
وذلك النِّزاع في باطنه الوحشيِّ لن يعرفَ خُتْمة؛
العالَم ليلٌ مُطبقٌ عندَه؛ ولن تزهرَ
أبدَ الدَّهرِ غبطةٌ ولا أغنيةٌ في نفسِه.

---

(1) كُتبت في حزيران/ يونيو 1800، ونشرت لأوَّل مرَّة سنة 1801؛ (م).

(2) هو في الميثولوجيا الإغريقية ابن إيريبوس (الظَّلام) ونيكس (الليل)، وهو روح الكون، وأصل كل ما هو حي، والهواء الذي تتنفَّسه الآلهة؛ (م).

(3) إله الشَّمس في الميثولوجيا الإغريقيَّة، (م).

وحدُكم أنتم، بشبابكم الأبديِّ، تُغَذُّون

في القلوب التي تحبُّكم معنى الغُلمة،

وأبداً لا تأذنون، لا لِوَهنٍ ولا لِهفوةٍ،

أن تحْزَنَ الرُّوحُ حدَّ الهلاك.

خبزٌ ونبيذ[1]

- إلى هينسه

1.

المدينةُ برُمَّتِها تستكين. الزُّقاقُ المُضاء يهدأ،
والعرباتُ، مُزدانةً بالمشاعل، تخشخشُ على الطَّريق.
الرِّجالُ المُتخَمون بمباهج النَّهار يخلدون إلى بيوتهم،
فيما عقلٌ حاذقٌ يوازنُ الرِّبحَ والخسارةَ في بيته مغتبطاً؛
السُّوق المكتظُّ وقد أقفرَ من الزَّهرِ والأعناب،
ومن الأعمالِ اليدويَّة، يتنفَّسُ الآنَ الصُّعداء.
لكنَّ رنين كمانٍ يتصادى بعيداً في حدائق قصيَّة؛
لعلَّه عاشقٌ يعزفُ هناك، أو رجلٌ مستوحشٌ

(1) بدأ هولدرلن بكتابتها في خريف 1800، وأنهاها شتاءَ العامِ نفسه؛ نُشِر المقطع الأوَّل منها كقصيدة كاملة مستقلَّة في إحدى الدَّوريَّات الأدبيَّة سنة 1807، دون الحصول على إذنٍ من هولدرلن؛ أمَّا القصيدة كاملةً فلم تنشر حتَّى عام 1894؛ (م).

يستذكرُ أصحابه البعيدين وعهدَ شبابه القديم؛
والنَّوافيرُ، طازجةً وأبديَّةَ الدَّفقِ، تفورُ على المساكبِ الفوَّاحة.
في الهواء الشَّفقيِّ ترنُّ الأجراسُ في خفوتٍ،
والمِرقَبُ يُعلِنُ الميقاتَ يقِظاً لحسابِ السَّاعات.
وهي ذي عصْفةٌ تهبُّ وتهزهزُ تيجانَ الأيكة ـ
انظرْ!، هو ذا ظلُّ أرضنا، القمرُ،
يصعدُ هو الآخرُ خِفيةً؛ والليلُ الحالمُ
يهبطُ طافحاً بالنُّجوم، لا يعبأ بنا إلا قليلاً ـ
ليلٌ محيِّرٌ غرائبيٌّ على البشر،
يتلألأ فوق الجبال في حزنٍ وأبَّهة.

.2

عجيبةٌ نَعماءُ هذا الليل المهيب، هذا الذي
نجهلُ مَصدرَه وما يصدرُ عنه.
هو مُقلقِلُ الكونِ ومحرِّكُ الأرواح المرتقِبة:
الحكماء أنفسهم لا يعرفون نواياه.
هكذا شاءَه الرَّبُّ الأعظم، فائقُ المحبَّةِ، أن يكون؛
ولهذا تؤْثِرون النَّهارَ العقلانيَّ على الليل.
ولكنَّ العين الصَّافيةَ قد تُؤْثِرُ الظِّلال أحياناً،
فتطلبُ النَّومَ لَذاذةً، لا حاجةً،
وقد يحلو لفارسٍ أن يجتلي أعماقَ الليل:
حقّاً، خليقٌ هو أن تُهدَى إليه الأكاليلُ والأناشيد،
ذلك أنَّه قدسُ أقداسِ التائهين والموتى، مع أنَّه
في سُكنى ذاته حرُّ الرُّوح أبداً.
فلْيمنحنا النِّسيانَ إذَنْ، والنَّشوةَ القدسيَّة،
علَّنا في ساعةِ الشَّكِّ، في قلبِ الظُّلمة،
نَلقَى ما يمسكنا عن الهُوِيِّ،
ولْيمنحنا كذلك الكلمةَ المتفجِّرة، الصَّاحية
كعيونِ العشَّاق، والكأسَ المترعةَ، والعيشَ المستأسِدَ،
والتَّذكارَ المقدَّسَ أيضاً، لنسهرَ الليلَ كلَّه.

.3

كذلك عبثاً، النَّطاسيُّ منَّا والمبتدئ، يخفي قلبَه

في صدرِه، عبثاً يلجمُ نارَ حمِيَّته،

فمَن ذا القادرُ أن يَكْبُتَه، أو أن يحرِّمَ الغبطةَ علينا؟

بينما ليلاً ونهاراً، نارٌ إلاهيَّةٌ تحثُّنا على الرَّحيل.

هيَّا إذنْ نلتمس اللامتناهي،

هيَّا نطلب ما هو خاصَّتنا، مهما بعُدَ المنال.

أمرٌ واحدٌ لا شكَّ فيه: ثمَّة نموذجٌ ثابتٌ على الدَّوام،

مُشترَكٌ بيننا جميعاً، لا يبدِّلُه تقلُّبُ الليل والنهار.

لكن لكلٍّ منَّا، كذلك، قدَرٌ خصوصيٌّ:

كلٌّ يروحُ ويجيء إلى حيث يستطيع.

هيَّا، ولْيَسخر الجنونُ اللعوبُ بالسُّخريةِ نفسِها،

إذْ ينقضُّ الليل المقدَّسُ بغتةً على المغنِّين.

فلنمضِ، إذنْ، إلى البرزخ! حيث يهدرُ البحرُ المطلَقُ عند سفحِ **بَرْناس**،

والثلجُ لألاءٌ على جُروف **دلفي**،

فمِن أرضِ **الأوليمب**، مِن فوق ذرى **قيثايرون**،

مِن بين الصَّنوبر والعرعر، ومِن بين كروم العنب،
حيث تلوحُ **ثيبا**، و**إزمينوس** يجأرُ في أرضِ **قدموس**،
مِن هناك يُقبلُ الإله الوشيك، وإليها يشير[1].

(1) في هذا المقطع تنتقل القصيدة إلى أرض اليونان، وخاصَّةً إلى المنطقة المحيطة بدلفي؛ برزخ كورنث، وجبل قيثاريون، وثيبا (طيبة)، ونهر إزمينوس، وأرض قدموس (مؤسِّس مدينة طيبة)، هي كلُّها أماكن كانت مكرَّسة لعبادة الإله ديونيزوس (الإله المُقبِل)؛ (م).

.4

ها أرضَ الإغريق المقدَّسة! يا منزلَ كلِّ السَّماويِّين ـ
أهوَ حقٌّ إذنْ
ما سمعناه عنكِ أيَّامَ الشَّباب؟
عن بهوِ احتفالاتٍ، بلاطُه المحيطُ، وموائدُه الجبال،
في الأصلِ شُيِّدَ لِأربٍ وحيد؟!
لكن أين هي العروش؟ أين المعابد، والغناء،
وأوانٍ أترِعتْ رحيقاً لإرضاء الآلهة؟
أين مهابطُ الوحي التي تشعُّ إلى البعيد البعيد؟
ـ نائمةٌ هي **دلفي** ـ، وأين يتردَّد صدى القدرِ العظيم؟
أين ذلك المباغت؟، أين الذي خطفاً يشقُّ الفضاءاتِ الرَّائقة
طافحاً بالجذَل الشَّامل، قاصفاً كالرَّعد فوق عيوننا؟
يا أبانا **الأثير**! هو النِّداء الذي طار من فمٍ إلى فمٍ مُضاعَفاً
ألفَ مرَّة، وما من أحدٍ تجشَّم عناء الحياة لوحدِه؛
إنَّها النَّعماءُ التي إن وُزِّعتْ أبهجتْ، وإن بودِلَتْ مع الأغراب
انقلبتْ نصراً؛ إنَّه جبروتُ الكلمة ينمو وهي نائمة:
ها أبانا! أيُّها الطَّلق!، ويتصادى الرَّمزُ البائدُ،
الموروثُ عن الآباء، ويرجُّ ويخلقُ بقدر ما يستطيع.
هكذا يجيء السَّماويُّون؛ هكذا ينزلُ فصلُ الآلهة
من لجَّةِ الظِّلالات على البشر، هازّاً الأعماق.

.5

خِفيةً، بادئ ذي بدءٍ، يصِلون. الأطفالُ يتهافتون إليهم،
ويعمُّ فرحٌ ساطعٌ يبهرُ الأبصار. يهابُهم ابنُ الفَناء،
وبالكادِ يتبيَّنُ حتَّى نصفُ إلهٍ
أسماءَ المقبلين عليه بالهباتِ والقرابين.
هُم، الكلِّيُّو القدرة، يملؤون قلبَه بالمباهج،
فإذا به جاهلٌ تقريباً ما عساه يفعل بأعطِيةٍ كمثل هذه.
ينكبُّ عليها، يُتلِفُها، وما هو مدنَّسٌ
ينقلبُ مقدَّساً، إذ تمسسه يده المباركة بطيشٍ وحنان.
يتغافلُ السَّماويُّون عن ذلك قليلاً، ثمَّ لا يلبثون بحقٍّ
أن يحضروا من حيث هُمُ، فيصيرُ الفرحُ
في النَّاسِ نهجاً، وكذا تصيرُ النَّهارات، ورؤيةُ
الوجوهِ المتجلِّية، وجوهِ الذين منذ الأزل كانوا "الواحدَ والكُلَّ"،
مَن بطَّنوا بالقناعةِ الحرَّة لبَّ القلبِ الصَّموت،
وكانوا وحدهم أوَّلَ مَن يلبِّي السُّؤلَ ويُشبِعُ الرَّغبات.
هكذا هو الإنسان؛ حين تكون النِّعمة بين يديه
ويتولاه الإله نفسُه بالعطايا، فإنَّه لا يحسُّ بها ولا يراها.
عليه أوَّلاً أن يحتملها صَعَداً؛ لكنَّه الآنَ يُسَمِّي ما يُحِبُّ،
والآنَ الآنَ، كمثلِ زهورٍ، تنبثقُ الكلمات.

.6

وهو يفكِّرُ الآنَ جاداً بتبجيلِ الآلهة المباركين،
وكلُّ شيءٍ ينبغي أن يسبِّحَ حتماً وحقّاً بحمدهم.
لا ينبغي لشيءٍ لا يرتضيه الأعلون أن يُبصِرَ النُّور،
وغير خليقٍ بروحِ الكون كلُّ مسعىً فاترٍ.
هكذا، لكي تَمثُلَ الأممُ بوقارٍ في حضرةِ الإلهيِّ،
فإنَّها تنهضُ زُمَراً مهيبةَ الأنساق،
وعالياً فوق المشارفِ البحريَّة تؤسِّسُ،
على بنيانٍ مكينٍ وأشمَّ، مدناً ومعابدَ بهيَّة ـ لكن،
أين هي الآن؟ أين الصُّروحُ العامرةُ البعيدةُ الصِّيت، تيجانُ المواسم؟
ها إنَّ **طيبةَ** و**أثينا** تذويان؛ أوَلَيسَ عهدُ صلصلةِ السِّلاح،
وهديرُ العربات الذَّهبيَّة في **أوليمبيا**، ببعيد؟
وسفنُ **كورنثة**، أوَلَمْ تَعرى جآجئُها من أكاليل النَّصر؟
وما لَها صامتةٌ، هي أيضاً، المسارحُ العتيقةُ المقدَّسة؟
والرَّقصُ الطُّقوسيُّ المكرَّس، ما لِنجومِ إغتباطِه انكدرت؟
ما لِلآلهة كفُّوا عن وسمِ الإنسان،
وصعقِه بختمٍ على جبينه، مثلما كان عهدهم؟
أم لعلَّهم جاؤوا بأنفسِهم، كالعزاء، متقمِّصين هيئة البشر،
فأتمُّوا قصفَ الأعياد السَّماويَّة واختتموها؟

.7

لكنَّنا، يا صاحِ، وصلنا جدٌّ متأخِّرين. يقينٌ أنَّ الآلهة حيَّةٌ،
ولكن عالياً فوق رؤوسنا، عالياً في عالمٍ مختلِف.
هناك يعملون بلا نهاية، ولا يعبؤون كما يبدو إلا قليلاً
بوجودنا، ذلك أنَّهم حقّاً في غنىً عنَّا.
فمثلما المركبُ الواهنُ يعجزُ أن يحتويهم إلى الأبد،
كذلك يعجز الإنسانُ أن يحتملَ كمالَهم إلا أحياناً.
ما الحياة إلا حلمٌ عنهم. غير أنَّ التِّيه يُجدي،
كما النَّومُ، والكَرْبُ والليلُ يحصِّنان،
ريثما ينمو في المهدِ النُّحاسيِّ ما يكفي من الأبطال،
بقلوبٍ صُلبةٍ كأنَّها، كما كان عهدُها، قلوبُ الآلهة.
آنئذٍ يظهرون بهزيمِ الرَّعد؛ فأحسبُ إذّاكَ
أنَّ النَّوم خيرٌ لي من البقاء وحيداً، بلا جليسٍ ولا خَدِين،
مترقِّباً فحسب، ولا أعلم في غضون ذلك ما عساي
أفعلُ أو أقول. [آهِ] ما نفعُ الشُّعراء في الزَّمنِ المبدَّد سُدىً؟
ستقولُ، معترضاً، إنْ هُمُ إلا كهنةُ إله الخمرِ المقدَّسين،
الذين تاهوا في الأرضِ آناءَ الليل المقدَّس.

.8

ذلك أنَّه منذ زمنٍ، يبدو لنا اليومَ بعيداً،
لمَّا ارتقى إلى السَّماء كلُّ الذين أبهجوا حياتنا،
وأشاحَ **الأبُ** بوجهه عن البشر،
وكَمَدٌ جنازيٌّ بدأ، بحقٍّ، يعمُّ الأرضَ،
تجلَّى بصمتٍ، في آخرةِ المطافِ، روحٌ عزائيٌّ
معلناً خاتمةَ النَّهار، ثمَّ احتجب؛
وكعلامةٍ على أنَّها كانت هنا وذات يومٍ ستعود،
تركتْ جوقةُ الخالدين وراءَها بعضَ الهدايا،
علَّنا نفرحُ بها، كما مِن قبلُ، على منوالِ البشر.
آنذاك، ما هو فائقٌ، ههنا بيننا، ازداد سمواً بقدرِ سموِّ
غبطة الرُّوح؛ وما زلنا نفتقر إلى القوَّة اللائقةِ بالغبطة الأسمى،
وإن كان بعض العرفانِ لا يزال يحيا في سكون.
الخبزُ ثمرةُ الأرض، ولكنَّ النُّورَ أيضاً يباركه،
ومن الإله الرَّاعدِ تأتي مسرَّةُ النَّبيذ.
لهذا نفكِّر بالآلهة، الذين كانوا ذات يومٍ هنا،
ولهم عَوْدٌ ثانٍ في الميقاتِ الصَّائب؛
لهذا يتغنَّى الشُّعراء كذلك بإله النَّبيذ،
ولا تضيعُ سدىً ترانيمُ حمدِهم للإله القديم.

.9

بلى، ويقولون بحقٍّ إنَّه يُصالحُ النَّهارَ بالليل،
ويوجِّه النُّجومَ، أبدَ الدَّهرِ، صعوداً وهبوطاً ـ
مغتبطاً على الدَّوام، كأغصان الصَّنوبرِ المخضوضرِ أبداً،
الذي يُحب، وكالرُّعلةِ التي انتقاها من اللبلاب،
[ذلك أنَّه يَدوم، ويحمِلُ آثارَ الآلهةِ المُحتجبين
إلى المُلحدين الماكثين في هُوِّ الظُّلُمات].
انظرْ! هُوَ ذا ما تنبَّأت به أنشودةُ القدماء عن أبناء الله،
إنَّه نحن، نحن هي ثمرةُ **هسبيريا**،
المُنجَزَةُ كلِّيّاً في الإنسان بدقَّةٍ وإبهار؛
فليؤمنْ بها كلُّ مَن اختبرَها! غير أنَّ الكثير يحدثُ،
ولا شيء يترك أثراً، لأنَّنا نظلُّ بلا قلوبٍ، محضَ ظلالٍ،
إلى أن نعرفَ **الآبَ الأثير**، روحَ الكونِ، ويذوبَ بتمامِه فينا.
لكنَّ **السُّوريَّ**، ابنَ الرَّبِّ الأعلى، يهبطُ إذَّاكَ
من بين الظِّلال وفي يده يهتزُّ المِشعَل.
الحكماء وحدهم يُبصِرون ذلك؛ وإذا بالنَّفْسِ السَّجينةِ
تشعُّ بَشَاشةً، وثلجُ العيونِ يستدفئُ بالضِّياء؛
وبين ذراعَي الأرض يغفو **التِّيتانُ** بوداعةٍ أكبر، ويحلم؛
بل إنَّ **سيربيروس** النَّاقمُ يشربُ، هو الآخَرُ، ويهوي في النَّوم.

"كما لو في يومِ عيدٍ"[1]

كما لو في يومِ عيدٍ، حين يخرجُ المزارِعُ
ليطالعَ الحقلَ، آناءَ الغسق، فيما
تنهمرُ عبر الليلِ المُحتَرِّ ضرباتُ برقٍ منعِشة،
والرَّعدُ لا يَني يتصادى في البعيد،
والنَّهرُ يغوصُ ثانيةً بين ضفَّتيه،
والأرضُ تنقلبُ خضراءَ خضراءَ، وطريَّة،
والكرومُ تنهضُ تحتَ المطر السَّماويِّ المعزِّي،
وأشجار الأجمةِ تتلألأ في الشَّمس الخامدة ـ

هكذا يلبثُ الشُّعراءُ تحت الطَّقسِ المؤاتي. هُمُ الذين
لا مولىً لهم إلا الطَّبيعة، تلك الجبَّارةُ
البهيَّةُ في ألوهيَّتها، المُعجِزَةُ والشَّاملةُ الحضور،

---

(1) كُتبت سنة 1800؛ (م).

التي بالحَضْنِ المترفِّقِ تربِّي وتقوِّم.
وإذ تنزعُ الطَّبيعةُ حيناً إلى السُّباتِ،
سواءٌ في السَّماء، أو في النَّباتِ، أو بين الأمم،
ترى طلعةَ الشُّعراء هي الأخرى مكفهِرَّة.
تحسبهم في عزلة، ولكنَّ حدسَهُم باقٍ أبداً؛
ذلك أنَّ الطَّبيعة بحدِّ ذاتها متبصِّرة، حتَّى في سكونها.

الآنَ أزِفَتِ السَّاعة! كنتُ أترصَّدُ حُلولَها،
ورأيتُ ـ، كلمتي مكْمَنُ القدسيِّ!
لأنَّ الطَّبيعةَ، التي هي أعتقُ من الزَّمن،
والعَلِيَّة على آلهةِ المغاربِ والمشارق،
قد صَحَتِ الآنَ على صليلِ السِّلاح.
كذا، مِن أعالي الأثير إلى أسافلِ الهاوية،
هي ذي الطَّبيعةُ التَّامَّة التَّكوين، ووفقاً للمواثيق
النَّاجزةِ المقرَّرة، تحرِّكها الحَمِيَّةُ من جديد،
كيومٍ وُلِدَتْ من رحمِ الشَّواش المقدَّس.

وكما تشعُّ النَّار في عين الإنسان
حين يختطُّ عظائمَ الفِكَر،
كذلك تشعُّ من جديدٍ، مؤتلقةً بِصُوَرِ
العالَمِ وصنائعِه، في نفوسِ الشُّعراء.
ما حدث مِن قبلُ، وبالكادِ فَطِنَّا له،
يصيرُ الآنَ، ولأوَّلِ مرَّةٍ، جليَّاً كالشَّمس؛
وأولئك الذين حرثوا حقولَنا
في هيئةِ عبيدٍ بَاسِمِين
اتَّضحَ الآنَ أنَّهم ليسوا إلا
قوى الآلهةِ الشَّاملةَ الحُلول.

أتستخبرُ عنهم؟ القصيدةُ مهبُّ أفكارهم،
أنضجتهم شمسُ النَّهار والأرضُ الدَّفيئةُ، والزَّوابع،
زوابعُ الهواء، والزَّوابعُ الأُخَر
المستولَدَةُ عميقاً في أغوارِ الوقت،
والمنجرفةُ بين الأرض والسَّماء، وبين الأمم،
حُبلى بالدَّلالات، وأذنى إلى مداركنا.

إن هُمُ إلا هجْسُ الفِكْرِ المُشاعِ المُطلَق،
إذْ يصبُّ بهدوءٍ في عقلِ الشَّاعر،

الذي، لِبُعدِ عهدِه باللامتناهي،
سرعان ما يختلجُ مصعوقاً بالذَّاكرة.
ومنهُ، هو المحترق بالإلهيِّ،
تتولَّدُ الأغنيةُ ـ الثَّمرةُ المُلقَحةُ حُبَّاً،
سِفْرُ الآلهةِ والإنسان،
شاهدةً على الاثنين ـ، لهذا هوى
البرقُ، في زعمِ الشُّعراءِ،
على حَوْشِ **سِيميلي**: لأنَّها أرادتْ أن ترى
الإلهَ بِعَينِه. وهكذا، إذ تلقَّت
[في رحمها] برقَ الإله،
حبلتْ بالمقدَّس، **ديونيزوس** المقدَّس،
وأنجبتْ ثمرةَ الإعصار.

لذلك، يشربُ أبناءُ الأرض الأنخابَ

في الجُحُمِ العُلْويَّةِ بِسلام؛
ويكون لِزاماً علينا، نحن الشُّعراء، أن نقفَ
حاسِري الرؤوس تحت زوابع الإله،
قابضِين بأيدينا
على شعاعِ **الآبِ** نفسِه،
كيما نَهِبَ نِحلةَ السَّماء،
ملفوفةً في قصيدة، لِزمرةِ البشر.
فإذا كانت قلوبنا ناصعةً، نصاعةَ الأطفال،
وأيدينا بريئةً من كلِّ إثم،

فإنَّ شعاعَ **الآبِ** الأنقى لن يذوي أبداً؛
والقلبُ الرَّاجفُ من أعماقه، إذْ
قاسَمَ الإلهَ الأقوى تباريحَ آلامِه،
سوفَ يجوز هِياجَ الأعاصير، متقدِّماً.

لكن واحَسرتاه، إذا مِن لَدُنْ .....

.....

واحَسرتاه!

إنْ أنا قلتُ الآنَ .....

لقد أتيتُ لكي أرى الآلهة،

أولئك الذين طوَّحوا بي نحو أرضِ الحُلُول،

أنا، القسُّ الزَّائفُ، طُوِّحَ بي،

كي أنشِدَ المبصِرِين أنشودةَ نذير.

هناك .....

نيكار[1]

في وديانِكَ صحا قلبي على الحياة،
أمواجُكَ داعبتني من كلِّ ناحٍ؛
وكلُّ التِّلال الرَّائقة التي فقهتْكَ،
أيُّها المترحِّلُ المتوحِّد، فقهتُها بدَوري.

هناك، فوق تلك الذُّرى، لطالما
أبرأني نسيمٌ سماويٌّ من آلام العبوديَّة،
وفي الأسفل، كالحياة المتصبِّبة من كأس الفرح،
كان موجٌ لازورديٌّ مفضَّضٌ يلألئُ قلبَ المسيل.

ينابيع الذُّرواتِ شهدتْها تهبطُ سراعاً إليك،
ومعها قلبي، وأنتَ، بعيداً بعيداً، أخذْتنا معك،
صوبَ "الرَّاين" الصَّامتِ المهيب ـ
صوبَ مدنِه، وجزره البهيَّةِ الجذلى.

---

(1) نهر ألماني طوله 367 كلم، تقع عليه بلدة "لاوفن" الصَّغيرة التي ولد فيها الشَّاعر. تعود القصيدة إلى سنة 1800؛ (م).

مُستعذَباً لا يزالُ العالَم في عيني، عيني التي
تجوسُ، اشتهاءً، طِلَسْماتِ الجمالِ الأرضيِّ،
بحثاً عن **بكتولوس**[1] المذهَّب، عن شواطئ **سْميرنا**[2]،
عن غاباتِ **إليون**[3]. آهِ كم أشتهي

الرسوَّ عندَ **سونيوم**[4]، والتماسَ الممرِّ الصَّامتِ
إلى مُنيفِ عُمُدِك، يا **أوليمبيا**، قبل أن يطمَّكِ،
أنتِ أيضاً، الزَّمانُ والرِّياح الحواصبُ،
في الحُطامِ، حُطامِ المعابدِ الأثينيَّة ـ

---

(1) نهرٌ قرب السَّواحل الإيجيَّة لتركيا؛ (م).

(2) مدينة إغريقية قديمة تقع على السَّاحل الغربي للأناضول على البحر المتوسط. يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وتقع أطلالها ضمن مدينة إزمير التركية. سُمِّيت **سميرنا** بهذا الاسم نسبةً إلى إحدى الأمازونيات، كما كان هذا الاسم يطلق سابقاً على أحد أحياء مدينة أفسس. حُوِّر اسم المدينة لاحقاً ليصبح زمورنا وزمورنايوس ومنه اشتُقَّ اسم المدينة الحديث إزمير، (م).

(3) الاسم القديم لمدينة طروادة الأسطوريَّة، والتي نسبةً إليها سُمِّيت "إلياذة" هوميروس بهذا الاسم، (م).

(4) لسانٌ بحريٌّ في اليونان، جنوب إقليم أتيكا، توجد فيه بقايا معبدين، أحدهما كان مكرَّساً للإله بوسيدون، والآخر للإلهة أثينا، (م).

مع تماثيلِ الآلهةِ نفسِها. ذلك أنَّكِ منذ عصورٍ

تقفين وحيدة، مفخرةَ عهدٍ بائدٍ

امَّحتْ أمجادُه! وأنتِ، أيَّتها الجُزرُ البهيَّة،

يا جُزرَ **إيونية**، حيث النَّسَم البحريُّ

يُنعِشُ الشَّواطئَ المُحترَّة، مندفعاً عبرَ

أحراجِ الغار، فيما الشَّمسُ تدفِّئ الكروم؛

هناك، آهِ هناك، حيث الخريفُ المذهَّب

يُحيلُ آهاتِ المستضعَفين إلى غناء،

والرُّمَّانُ يلْبَبُ نُضجاً، والبرتقالُ يشتعلُ

في الليل الأخضر، والبطميَّات

تتقطَّرُ راتنجاً، بَينا طُبولٌ وصنوجٌ

تستدرجُ الزُّمَرَ إلى رقصٍ تيهيٍّ مُدَوِّم ـ،

ربَّما يحملني إليكِ يوماً إلهٌ حارسٌ،

أيَّتها الجزر البهيَّة، غير أنَّ قلبي

سيبقى أبدَ الدَّهرِ وفيَّاً لِنيكار،

لمروجه العذبة، وصفصافِ حِفافَيه.

العودةُ للوطن[1]

- إلى عائلتي

1.

ليلٌ أبلجُ لا يزال على ذرواتِ الألب، وغيمةٌ هناك،
إذ تبتكرُ بَشَاشاتٍ غرائبيَّة، تطمُّ فمَ الوادي.
هنا وهناك، يرتمي وينقضُّ نسيمُ الجبلِ اللعوب،
وشعاعُ نورٍ يبرق ويخبو دون انتظامٍ خلالَ الشُّوح.
الشَّواشُ، باختلاجةِ غبطةٍ، يَفِزُ متَّئداً إلى عملِه:
يافعَ التَّكوين، مُستحكِماً، يتماجنُ في تنابذٍ عِشقيٍّ
عبرَ الجُروف. ها هو يَهيجُ ويرتجُّ في نطاقاتِه المؤبَّدة،
لأنَّ الفجرَ، براقصيهِ المكرَّسين، يحثُّ خطاه.
العامُ برمَّته يندفعُ حثيثاً هناك، والسَّاعاتُ المقدَّسة،
النَّهارات، تنضبطُ وتتمازجُ باتِّقادٍ أكبر.

---

(1) كُتبت فورَ عودة هولدرلن من مدينة هاوبتفيل في سويسرا سنة 1801، ونُشِرت في السَّنة التَّالية؛ (م).

طيرُ العاصفة يرصدُ الوقتَ، وعالياً في الرِّيح،
من بين الذُّرُوات، يعلنُ ابتداءَ النَّهار.
هي ذي، في العمقِ السَّحيق، تنهضُ القريةُ من نومِها،
وبحمِيَّةٍ ويقينٍ بالعُلُوَّات، تحدِّقُ من طُنْفِ الأشجار،
مُشتمَّةً عبقَ النُّشوء، إذ تهوي الأنهرُ العتيقةُ كالبرق،
والأرضُ، تحت الماء المتفجِّر، تفورُ وتتبخَّر.
الهديرُ يتصادى: المكانُ مَشْغَلٌ رحيب، تخرجُ الهِباتُ،
نافلِةً مِن دفقِ يديه، في الليل والنَّهار.

.2

الذُّرى المفضَّضَة، إذّاكَ، تتلألأ بصمتٍ عُلويٍّ،
والثَّلجُ البرَّاق مبذورٌ عن آخِرِه بالورود.
أعلى من ذلك، فوق النُّورِ نفسِه، يتنفَّسُ الإله،
في طُهْرِ جلائه، هانئاً باللهوِ الإلهيِّ للشُّعُع.
هناك يحيا، هادئاً متوحِّداً؛ وجهه مغتبطٌ بالبهاء؛
وكأنَّه، في مثواه الأثيريِّ، يُعِدُّ الحياة ويخلق
النَّشوة لأجلنا. كذا، بالتَّدرُّجِ والتَّدبُّر،
واعياً ضرورةَ التَّوسُّطِ ومبلَغَ طاقاتِ البشر،
يرسلُ إلى المدائن والمنازل رفاهاً خالصاً،
ومطراً رفيقاً يفتحُ به الأرضَ، مازجاً الغيمَ
بما عُهِدَ من الرِّياح، وساكباً عذوباتِ الرَّبيع.
بيدٍ مترفِّقةٍ يرفعُ الحَزانى مجدَّداً صوبَ الفرَح،
يجدِّدُ الفصول، هو الفاطرُ، ينعِشُ
ويلامسُ قلوبَ المعَمَّرين في هدأتِها.
نحو أعمق الأعماق يمتدُّ فِعلُه: يدُه
تكشِّفُ وتنوِّرُ أيما شيءٍ يشاء، فإذا بالحياة
تنهضُ، والبهاءُ يزهرُ مجدَّداً، كما في الأمس،
وإذا بالرُّوحِ الأعلى حاضرٌ ههنا بيننا،
وعزمٌ بهيجٌ يطفحُ مِن جناحَيه.

.3

له بُحْتُ بالكثير، فكلُّ ما يتفكَّرُ به شاعرٌ،
أو يُنشِدُه، إنَّما مُرسَلٌ له ولملائكته؛
ولقد سألتُه الكثير، حبَّاً بأرضِ الأسلاف،
ألا يغشِيَنا الرُّوحُ بغتةً دونما استهلال؛
ولأجلكم أيضاً، أيُّها التَّوَّاقون في وطني،
يا مَن بالعرفانِ المقدَّس، والتَّبسُّم، تستقبلون
كلَّ مُبعَدٍ مُرحَّل، ـ لأجلكم أنتم، يا بني أمِّي،
صلَّيت. آنذاك، رجَّتِ البحيرةُ مركبي،
وموجِّه الدَّفَّة لبثَ رخيَّ البال، ممجِّداً مجرانا.
هناك، فوق مُنبسَطِ البحيرة، موجٌ مغتبطٌ يتموَّرُ
تحتَ الأشرعة، وها هي المدينةُ، تنفتحُ الآنَ كوردةٍ،
وهَّاجةً في صميم الفجرِ المنفلِق، فيما المركبُ،
خارجاً مِن ظلال الألب، يلِجُ الميناء لِيَرسو.
ههنا، السَّاحلُ دفيءٌ، والوديانُ مُشرَعَةٌ حفيَّة،
مستنيرةٌ ببهاءِ المسالك، تلقاني بخضَارٍ لألاء.
الحدائق في تشبُّكٍ والْتِباد، البراعمُ في افتضاض،
وغناءُ الطَّيرِ يَجيشُ في قلبِ المترحِّل.
كلُّ شيءٍ أليفٌ ومعهود؛ حائُو الخُطا
يحيِّي بعضهم بعضاً، كما لو كانوا صُحبةً،
وكلُّ وجهٍ كأنَّه للنَّاظرِ وجهُ قريب.

.4

يقيناً، تلك هي أرضُ ميلادِك، ذاك هو
أديمُ أرضِك: كلُّ ما تبتغيه يبزغُ،
ويطوي المسافاتِ إليكَ. المترحِّلُ ماثلٌ حِيالَكِ،
يا **ليندا**و[1] الهانئة، كمثلِ شمسٍ في لجَّةِ الموج،
يترنَّمُ، رضيَّاً عندَ عتبتِك، بأمجادِك.
ها **ليندا**و، يا بوَّابةَ الأرضِ الحفيَّة، أنتِ
يا إغواءَ الأقاصي بالتَّرحُّل، ويا محلَّ العهودِ
والخوارق، حيث **الرَّاين**، كمثلِ حيوانٍ
خرافيٍّ، يشقُّ مجراه متحدِّراً نحو السُّهوب،
مُنساحاً في الوُديانِ المُفضِيةِ، خلالَ الجبالِ
البهيَّةِ، إلى **كومو**، أو مقتفياً بيضةَ النَّهار
نحو مِيداءِ البحرِ المفتوحِ عن آخِرِه.
لكنَّ المدخلَ القدسيَّ يستدرجني إلى الوطن،
عبر الدُّروبِ الحميمة، تحتَ الأشجار الفاغية،

---

(1) جزيرة في الجزء الشَّرقي من بحيرة "كونستانس" أو "بودِنسي" الواقعة في ألمانيا وسويسرا والنِّمسا؛ (م).

لأزورَ أرضَ **نيكار** ووهداتِه المؤنِقة،
غاباتِه، الصَّومعة الخضراء المؤتلِفة من بلُّوطٍ
وزانٍ، وأشجارِ بتولا واجمة، حيث ثمَّة
بين التَّلَعاتِ، دائماً، مكانٌ حَدِبٌ يستملِكُني.

.5

هنالك أُحْتَضَن. أوه أيَّتها المدينةُ، يا أمِّي!
صوتكِ يلمسُ ويوقِظُ فيَّ جنوحاتِ عهدٍ بعيد.
الأشياءُ هيَ ذاتها: الشَّمسُ والحبورُ إيَّاهما
يشعَّان لأجلكم، أيُّها الأحبَّة، كما لم يشعَّا
مِن قبلُ، في عيونكم، أبداً. بلى، كلُّ شيءٍ
على عهدِه. كلُّ شيءٍ ينمو وينضجُ، لكن
لا شيء ممَّا يحيا ويتدلَّه هناك يفقدُ ولاءَه.
هو ذا الشَّيء الأمثل، اللُقيَةُ الإلهيَّة، ماثلٌ تحت
قوس السَّلام المقدَّس، مُدَّخَرٌ لليافعِ والمُسِنِّ.
إنِّي لألغو اختبالاً. الغبطةُ مُطْبقةٌ. لكن غداً،
حين نخرجُ صوبَ الطَّبيعةِ الحيَّة، والشَّجرُ
يُطلِقُ علينا نَوْراتِه إيذاناً بالرَّبيع، سوف أنطقُ
ما لم يُنطَق، وأقاسمكم أشيائي وآمالي يا أحبَّتي.
لقد علمتُ الكثير عن **الآب**، ولكنَّني لم أقلْ
شيئاً. هو الذي يجدِّدُ الزَّمنَ الآفِلَ في الأعالي،
مُقيماً عرشَه فوق الجبال؛ سوف يمطِرُنا،
عمَّا قليلٍ، برِفدٍ فردوسيٍّ مِن لدُنه، ويستجلبُ
لأجلنا النَّشيدَ الأبهى، مؤازَراً بخيالاتٍ غفيرة.
أوه، أقبلوا أيُّها الحَفَظة! يا ملائكَ العامِ، وأنتم،

.6

يا ملائكَ البيت، أقبلوا! ولْتَسْرِ في العروق، في كلِّ
عروقِ الحياة، قوَّةُ السَّماء، مفخِّمَةً ومحفِّزةً
وموزِّعةً الغبطة! فلا تمرُّ ساعةٌ من ليلٍ أو نهارٍ
من غير ملاكٍ بشوشٍ يواكبُ استقامةَ الإنسان؛
ذلك أنَّ الغبطة التي أختبرُ الآن، إذ التأمَ شملُ الأحبَّة
كما ينبغي، قد نالت القداسةَ التي تنبغي.
قولوا؛ حين نبارك خبزَنا، بأيِّ اسمٍ ستنطقُ شفاهي،
وحين نهجعُ بعد ضنكِ النَّهار، كيف سأقدِّمُ
قرابينَ شكري؟ أأذكرُ العليَّ باسمه، وكفى؟
لن يستحبَّ الإلهُ عثراتنا. أو قلْ، لعلَّ غبطتنا
ليست عارمةً بما يكفي ليُحاطَ به. علينا بالصَّمتِ
مِراراً، فالأسماءُ المقدَّسةُ تُعوِزنا ـ القلوبُ تخفقُ،
والألسنة تثَّاقلُ من ورائها. ولكنَّ رنين القيائر
يتردَّدُ ساعةً إثرَ ساعة، ويستقطبُ الآلهة.
فلتصدحِ المعازفُ إذنْ، كيما يستكِنَّ قليلاً
القلقُ الذي تخلَّلَ اغتباطَنا. قلقٌ كمثل هذا،
يَلْزَمُ، طَوعاً أو كَرهاً، أن ينبريَ له الشُّعراء،
وبعدُ، لا تكون لهم حاجةٌ بشيءٍ سواه.

الاحتفالُ بالسَّلام[1]

يُرجى عدم قراءة هذه الصَّفحات إلا بروحٍ رقيقة الحاشية. عندئذ، لن تبدوَ قطعاً مُستغلقة، وحتماً ستكون أقلَّ صدّماً. أمَّا إن رأى البعضُ أنَّ لغتي خارجةٌ عنَ المألوف، فأقرُّ بأنَّني عاجزٌ عن فعل شيءٍ حيال ذلك. في نهارٍ فائق البهاء يمكن أن تطرقَ الأذنَ كلُّ صنوفِ الغناء تقريباً، والطَّبيعةُ، التي عنها يصدرُ ذلك الغناء، تعودُ فتتلقَّاه من جديد.

إنَّما يرمي الشَّاعرُ أن يقدِّمَ للنَّاسِ مجموعةً كاملةً من قبيلِ هذه المتفرِّقات، وما هذه إلا عيِّنةٌ منتقاة.

بالعزفِ السَّماويِّ، المرنَّمِ بهدوءٍ،
والمتصادي برقَّةٍ، ملأى ومُهَوَّأةٌ القاعةُ البائدة،
المسكونةُ بالمقدَّس؛ وفوق الزَّرابيِّ الخُضرِ
تتضوَّعُ غيمةُ الغبطة، فيما يتلألأ،
على مقربةٍ، صفٌّ بديعٌ من الأجوامِ المضفورةِ

---

(1) تعود إلى الفترة (1801-1802)، والمقطع بالخط المائل هو تنبيهٌ من الشَّاعر نفسِه؛ (م).

بالذَّهب، مُتقَنُ التَّنضيد، وطافحٌ
بالثِّمار اليانعة. الموائدُ في كلِّ ركنٍ
ترتفعُ على ما سوِّيَ من الأرض. ذلك أنَّه،
في هذا الميقاتِ المسائيِّ، ضيوفٌ محبُّون
حلُّوا ههنا، آتين من بعيد.

وبعيونٍ مغشَّاةٍ يُخيَّلُ إليَّ أنِّي أرى
أميرَ الحفلِ نفسَه،
يفترُّ هازئاً من أعمالِ النَّهارِ الرَّصينة.
حتَّى وإن تنكَّرتَ طَوعاً لأصلِك الغريب،
وأسدلتَ الجفنَ، متعباً كما لو
مِن زحفٍ ملحميٍّ طويل، ـ متغافلاً، مستتراً في الظِّلِّ ـ
مصطنعاً سِيماءَ صديق، فإنَّك تظلُّ
معروفاً للجميع؛ حيالَ أبَّهةِ حضورِكَ وحدِها
يخرُّ النَّاظرون على الرُّكَب.
ممحوّاً حتَّى العدم في حضرتِك، أوقِنُ
شيئاً واحداً فحسب، أنَّكَ لستَ أرضيّاً.

بمقدورِ الحكيمِ العارفِ أن يوضِّحَ الكثير، لكنْ
حيثُ يظهرُ إلهٌ،
يكون للوضوحِ معنىً آخرَ.

لكنَّك لا تمتُّ إلى الحاضر بصِلة، ولا تجيء من غيرِ بلاغ؛
فمَن لا يهابُ اللظى ولا الطُّوفان،
لن يُغافِل الآنَ من دونِ سبب، بعد أن همدَ كلُّ شيءٍ،
وزالتْ حدودُ السَّطوةِ بين الأطيافِ والبشر.
هُوَ ذا، العملُ مسموعٌ في هذه اللحظة، العملُ
المُعَدُّ له طويلاً، من الفجرِ حتَّى المساء؛
يا لَهديرِ **الرَّاعدِ**، يا لَلعصفِ الألفيِّ، كيفَ
يجأرُ إلى ما لا نهايةٍ، مبدَّداً في هوَّةِ النَّوم،
مسحوقاً تحتَ تآلفٍ لحنيٍّ مُهادِن. ولكن أنتِ،
أوه أنتِ يا نهاراتِ البراءة، أيَّتها المَفديَّة،
تفتَّقي عيداً أنتِ الأخرى، يا ولعنا الأثير!
ها أنَّ الرُّوح يزهرُ في هدأةِ المساء؛
وينبغي أن أحضَّكم، أيُّها الصَّحْبُ، على تعهُّدِ

الوليمةِ والتِّيجان، لأنَّنا وإن اشتعلتِ الرؤوسُ شيباً،
مبقَّوْنَ الآن على هيئة ولدانٍ مخلَّدين.

المزيدَ منكم أودُّ لو أدعو، ولكنَّكَ،
أيُّها المكرَّسُ للإنسان، حبَّاً به ورفقاً، كنتَ هناك
حيث تشتهي ـ، تحتَ النَّخلِ السُّوريِّ،
عندَ البئرِ التي بجوارِ المدينة؛ حقولُ القمح
تخشخشُ في الرِّيح، والطَّراواتُ تنحدرُ
من الطُّورِ القدسيِّ المظلَّل،
فيما صحبُكَ من الغيمِ المُوالي
ينشرون ظلالَهم من حولِك، فيشعُّ إذَّاكَ
بهاؤكَ النَّبيلُ المقدَّس، بلُطفٍ،
على امتدادِ الفيافي فوقَ البشر، أيُّها الفتيُّ الحَدَث!
غير أنَّ قدَراً ماحِقاً ألقى عليك ظلَّه الأسود،
ظلاً رهيباً قاطعاً، وأنتَ بعدُ
في منتصفِ كلماتِك. بمثلِ هذا الخطفِ إذنْ،
كلُّ ما يجيءُ من الفردوس يزولُ، ولكن ليس هدْراً.

عارفاً على الدَّوام قدْرَ نفسِه، يمسُّ إلهٌ لِهُنيهةٍ
مسَّاً خفيفاً منازلَ البشر ـ على غفلةٍ،
ولا أحد يعلمُ متى. ولكنَّ الفجور واقعٌ مِن ثَمَّ،
والبربريَّةُ لا بدَّ بالغةٌ المقامَ المقدَّس
مِن أقاصي التُّخوم، وكذا الجنونُ الذي
يلمسُ بغُلْظةٍ، ويملأ إذَّاكَ أحدَ المصائر؛
غير أنَّ العرفانَ لا يتبَعُ في الحالِ
هبةَ الآلهة: تلكَ ينبغي، أوَّلاً، أن تُفقَه.
لأنَّ الواهبَ إلَّم يقينا بركةَ المجمرة،
لاحترقتْ بنا الأسافلُ والأعالي.

جمَّةٌ هي الأشياء التي نلناها من الآلهة.
النَّارُ سُلِّمتْ لنا، وكذا لجَّةُ المحيط
وضفَّته. وفوق ذلك، جُعِلَتِ القوى الغريبة
معهودةً لنهجِ البشر. الأجرامُ
فوق رأسِك قادرةٌ أن تعلِّمكَ الكثير،
ولكنَّك عاجزٌ أن تضارعَها.

فمن بين جميع الأحياء، ـ مِن مُشيِعي
الغبطةِ والغناء ـ واحدٌ فقط
هو الابنُ، القديرُ اللطيفُ الرَّائق.
الآنَ، وقد عرفنا **الآبَ**، عرفناهُ، بعدئذْ
تحدَّرَ روحُ الكونِ الأعلى نحو الإنسانِ
لكي يشترعَ لأجله الأعياد.
هو الجبَّارُ منذ الأزل، المتوَّج لجبروتِه
إلهاً للزَّمن، وتخومه تمتدُّ إلى ما لا نهاية ...
هل استنفدَه ذلك يوماً؟ غير أنَّه ممكنٌ أيضاً
أن يختار إلهٌ ما حياةً دنيويَّةً،
كما البشر، وأن يقاسمَهم أقدارَهم.

ذاكَ هو ميثاقُ القدر، أن يَخبُرَ
النَّاسُ بعضُهم بعضاً، حتَّى إذا ما صمتوا،
كان الصَّمتُ فيما بينهم لغةً أخرى.
لكن، حيثما يعمل الرُّوحُ، نكُنْ نحن،
لنحاججَ حول ماهيَّةِ الأفضل. ظنِّي،
الأفضلُ هو أنَّه عندما تكتملُ الصُّورة، ويؤدِّي

الفنَّانُ منجزَه، ويخرجُ مُغيَّرَ الهيئةِ مِن ورشتِه،
يحلِّقُ إلهُ الزَّمنِ الصَّامتُ، ووحده
ميثاقُ الحبِّ ينساحُ من هنا حتَّى السَّماء.

ما أكثر ما تلقَّنَ الإنسان منذ فجرِ العالَم؛
ذلك أنَّنا محضُ حواريَّةٍ، كلُّ فردٍ فيها
يصغي إلى الآخر؛ وعمَّا قليلٍ نصيرُ أغنيةً.
هي ذي صورةُ الزَّمنِ، التي افتضَّها الرُّوحُ العظيمُ،
تربضُ كرمزٍ أمامنا، معلنةً أنَّ ميثاقاً
بينه وبين الآخرين، بينه وبين القوى الأخرى،
معقودٌ ومُبرَم. ليس هو فحسب،
بل كلُّ المتولِّدات الأبديَّة مرئيَّةٌ كذلك
في الصُّورة، تماماً مثلما ترى الأمُّ،
الأرضُ الأمُّ، (وكذا النُّورُ والهواء)، أنفسَهم
من خلالِ النَّبات. ولكنَّ يوم المحفِلِ هذا
إنْ هو إلا علامةُ الحبِّ القصوى،
وبرهانُ وجودِكِ أنتِ، أيَّتها القوى المقدَّسة.

ههنا، لا إلهٌ يتجلَّى في معجزة،
أو يبقى خفيَّاً كما لو خلالَ إعصارٍ؛
الآنَ يجتمعُ الآلهةُ ضيوفاً،
مقدَّسِين عدداً، ومقدَّسِين في كلِّ صورةٍ،
ليظهروا في خورَسِ الغناء.
كذلك، كلُّ من يعوَّلُ عليه ممَّن
هو أثيرٌ عندَهم، حاضرٌ بينهم لا يغيب؛
لأجلِ ذلك استدعيتُكَ أيُّها اللامنسيُّ
إلى الوليمةِ المعدَّةِ في عشيَّةِ الزَّمن، استدعيتُكَ
أيُّها النَّضيرُ لتكونَ **أميرَ الحفلِ**؛
ولن يغفوَ نسلُنا أبداً
قبلَ أن ينزلَ إلى رَدهاتِنا
السَّرمديُّون الموعودون من جنسِ الآلهة،
ويحدِّثونا عن سمائهم.

هبَّاتُ الرِّيحِ المنسابةُ برفقٍ
تعلنُ مجيئكم؛

سُدُمُ المنفرَجات تنبئ بكم جميعاً،
وكذا الأرضُ المُصِمَّةُ بِنَوِّها وأعاصيرِها؛
الأملُ يضرِّجُ الخدودَ،
وعند كلِّ عتبةٍ من العتبات
تجلسُ أمٌّ وطفلها،
يجتليانِ مطالعَ السَّلام.
بالكادِ يموتُ، ههنا، أحد:
الهجْسُ المرسَلُ مِن أفقِ الضَّوء المذهَّب
يستمسكُ بالرُّوحِ،
وبالأقدمينَ يستمسكُ وعدٌ.

الآنَ كلُّ المخاضاتِ،
كلُّ طيوبِ الحياةِ،
مُعَدَّةٌ ومتمَّمةُ الإنجازِ في الأعلى.
كلُّ شيءٍ مُلتَذٌّ ومغبوط،
ولا سيَّما الأشياء البسيطة.
الثَّمرةُ المذهَّبة

المنتظَرَةُ منذ أمدٍ بعيدٍ
هوتْ بعد العصفِ الرَّهيبِ
عن الشَّجرةِ العتيقةِ،
ولكنَّها محروسةٌ الآنَ، كمثلِ قِنوةٍ مكنوزة،
بالأسلحةِ الرَّسْلِ للقدَرِ المقدَّس:
هي ذي على شاكلةِ إله.

كمثلِ لَبْوَةٍ، أيَّتها الأمُّ،
أيَّتها الطَّبيعةُ الأمُّ، تنتحبين،
مُذْ خسرتِ أبناءكِ.
عدوُّكِ، ذلك الكلِّيُّ المحبَّة،
سلبَكِ إيَّاهم جميعاً،
ذلكِ أنَّكِ اجتبيتِه هو دون سِواه
ولداً خالصاً لكِ، جاعلةً
الآلهةَ والسَّاتيراتِ في جوقةٍ واحدة.
هكذا، خلقتِ الكثير،
ودفنتِ الكثير،

إذْ أنَّ ذلك الذي أخرجتِه إلى النُّورِ
باكراً جدَّاً، الكلِّيَّ القدرةِ،
باتَ يبغضكِ الآن أشدَّ البُغضِ،
غير أنَّكِ تدركين هذا، وترتضينه أيضاً؛
ففي النِّهايةِ، كلُّ ما يوقظُ الخوفَ
يؤْثِرُ البقاءَ خاملاً في الأسفل،
إلى أن يحينَ الوقت.

باطموس[1]

ـ إلى لاندغراف[2] هومبورغ

قريبٌ،
وعصيٌّ على الفهمِ هو الإله.
لكن، حيثما تكنْ مَهْلَكةٌ،
يكنْ كذلك عِتقٌ.
في الظُّلمةِ تثوي النُّسور،

---

(1) كُتبت في أوائل سنة 1803، ونُشِرت لأوَّل مرَّة سنة 1808، وهي موجَّهة إلى حاكمٍ ورِعٍ ومتديِّن لمقاطعةٍ صغيرةٍ قرب فرانكفورت عاش فيها هولدرلن بعد موت سوزيته جونتار (في 22 حزيران/ يونيو 1802) إلى أن نُقِل إلى المصحَّة في توبنجن؛ (م).

(2) لقبٌ ألمانيٌّ على نفس رتبة لقب هرتسوغ "دوق"، وفوق رتبة غراف "كونت". في الأصل، يشير اللقب إلى الكونت الذي يتميز بتبعيَّة مباشرة للإمبراطوريَّة، أو يدين بالواجب الإقطاعي مباشرةً للإمبراطور الروماني المقدَّس؛ وبحكم ذلك، يمارس اللاندغراف حقوقًا سياديَّة، وتُعتبر سلطة اتخاذه للقرارات مماثلة لتلك السُّلطة التي يتمتع بها الدُّوق، (م).

وبلا تهيُّبٍ يَعبرُ أبناءُ الألبِ
فوق الهاوية
على جسورٍ خِفاف.
لذلك، تتحشَّدُ من حولنا
قممُ الزَّمن،
والأثيرون يسكنون قريباً،
وُهُنَاً فوق جبالٍ متباعدة؛
أعطِنا، إذنْ، ماءً بلا إثم،
أعطِنا أجنحةً، كي نعبُرَ نحوَها
بحسٍّ فائقِ الولاء، ونعود.

هكذا كنتُ ألغو، عندما مِن أصْلي
بأسرعِ ممَّا أتصوَّرُ اقتُلِعْت،
وأبعدَ ممَّا تخيَّلتُ أن أبلُغَ يوماً طُوِّحتُ
مِن قِبلِ روحٍ خفيٍّ.
الغِياضُ الظَّليلة، غياضُ موطني،
ونُهَيراته المُلتاعة، كانت تُبرق
في دَغيشةِ الغسق، فيما أنا مرتحلٌ؛

وما كنتُ لأميزَ أرضاً من أرضٍ
مررتُ بها، لكن على حين غرَّةٍ،
في البهاءِ البليل، مُعَمَّاةً
بالسَّديم المذهَّب، رأيتُ آسيا تبزغُ
بإزهارٍ متعجِّلٍ،
مع نقلاتِ الشَّمس،
وبعطرِ ألفِ ذروةٍ من الذُّروات،
تتفتَّحُ أمامي.

مبهوراً كنتُ أستقصي حواليَّ
شيئاً مأنوساً، أنا الغريبُ
على مهايعِ الطُّرُق: فيما مِن أعالي **تمولوس**[1]
ينحدرُ **بكتولوس**[2] المخرَّم بالذَّهب،

---

(1) الإشارة هنا إلى جبل بوزداغ في تركيا الذي حمل قديماً اسم "تمولوس" ملِك ليديا وإله الجبل بحسب الأسطورة الإغريقية، (م).

(2) وفقاً للأسطورة الإغريقية، بكتولوس هو اسم الإله الذي كان يسكن النَّهرَ المسمَّى باسمه؛ وقد كان إله النَّهر هذا، كما يشير بعض الكتَّاب، ابناً للعلاقة الغراميَّة بين "زيوس" وإحدى الحوريَّات، (م).

هنا حيثُ ينهضُ **طوروسُ ومِسُّوجيس**[1]،

والحدائق طافحةٌ بالزَّهر،

كأنَّها نارٌ رائقة؛ أمَّا بعيداً وعالياً

في صميمِ الضَّوء، فكان ثلجٌ مفضَّضٌ

يُطلِعُ حشداً مِن لؤلؤِ نوراتِه؛

وكمثلِ شاهدٍ على حياةٍ أبديَّة،

استشرى لبلابُ العهودِ البائدة

على الجدرانِ البعيدةِ المنال،

والأبهاءُ المهيبةُ، المشيَّدةُ بعرَقِ الآلهة،

مرفوعةٌ على عُمُدٍ حيَّة

من شجرِ السَّروِ والغار.

ها هيَ ذِه، عندَ بوَّاباتِ آسيا،

المسالك البحريَّة المشمَّسة

تتهافتُ سِراعاً إلى البحرِ المتقلِّب،

---

(1) Mesogis أو Messogis، كانت تشكِّل سلسلة الجبال الرئيسيَّة لليديا، وتُعَدُّ فرعاً من سلسلة جبال طوروس بين تركيا وسوريا، (م).

ولكنَّ الملاحَ
كان عارفاً بمواضعِ الجُزُر.
فلمَّا تناهى إلى سمعي
أنَّ إحدى الدَّانياتِ مِنها
كانت **باطموس**،
نازعتني نفسي بقوَّةٍ إليها،
إلى بلوغها،
وولوجِ الكهفِ البحريِّ المُعتِم.
ذلك أنَّ **باطموس**،
بخلافِ **قبرص**، الوافرةِ العيون[1]،
وبخلافِ أخواتها الأخَر،
لم تكن بهاءً للنَّاظرين؛

ولكنْ حتَّى المُعدِم من بيوتها
تجده مترعاً بالحفاوة؛
وإذا ما التجأ إليها غريبٌ،

---

(1) عيون الماء، (م).

مُلتاعاً على غريقٍ، أو على وطنٍ،
أو على خِلٍّ مُفارِق، فإنَّها
تنصِتُ عن طيبِ خاطرٍ، وكذا نسْلُها،
إلى أصواتِ الدَّغلِ المُسَخَّنِ،
فحيثما تلهث الرِّمالُ،
ووجه الأرضِ يشَّقَّق احتراراً،
تجدْ تلك الأصواتُ مُصغياً لها ـ
ورَجْعٌ مستعذَبٌ
يرتدُّ جواباً على آهةِ الإنسان.
هكذا، ذاتَ مرَّةٍ،
تعهَّدتْ **باطموس** بعنايتِها الرَّائيَ،
محظيَّ الإله، الذي في غُلمتِه المقدَّسة

ترحَّلَ مع **ابنِ السَّماء**،
كإلفَين لا يفترقان،
ذلك أنَّ حاملَ الإعصارِ أحبَّ
بساطةَ مُريدِه، والرَّجلُ النَّابهُ بدَوْرِه

اجتلى عن كثبٍ ملامحَ الإله،
هناكَ في سرَّانيَّةِ النَّبيذ،
حيث جلسا معاً ساعةَ العشاء،
والمولى، عِبْرَ روحه العظيمة، رأى موتَه
بعينِ النَّذيرِ الهادئة، وأعلنه،
معلِناً في الوقتِ نفسِه خاتمةَ الحبِّ،
هو الذي لم يعدِم قطُّ كلمةَ حُنوٍّ
يلطِّف بها سُعارَ العالَم، مهما تكن النبوءة.
فلمَّا بلغَ كلُّ شيءٍ تمامَه، ماتَ.
الكثيرُ جديرٌ أن يُقالَ عن ذلك. في النِّهاية،
فطنَ رفاقُه كم كان مغتبطاً، وظافراً.

معَ هذا اغتمَّ البشر، حالما
هبطَ المساء، مأخوذين بالحيرة،
ذلك أنَّ نفوسهم كانت مفعمَةً بعزمٍ عظيم،
وشغِفين كانوا بالحياةِ تحت الشَّمس،
كارهين مبارحةَ قسماتِ المولى،

التي كانت لهم وطناً.
منغرِزاً كان [هو] فيهم، ومستبطناً،
كالنَّارِ في الحديد المحمَّى،
وحِذاءَهم سارَ الحبيبُ كمثلِ ظلٍّ لهم.
إذَّاكَ ألقى عليهم
الرُّوحَ المقدَّسَ، فارتجَّ البيتُ
وصواعقُ الإله زمزمتْ بهزيمٍ بعيدٍ
فوق الرؤوسِ المترقِّبة؛
وفيما هم يتحشَّدون، مُثقَلِين بالهواجس،
أبطالاً تحت حُكمِ الموت،

تجلَّى هو مرَّةً أخرى لهم
ساعةَ أفولِه.
ذلك أنَّ ميقاتَ **الشَّمس** العظيمَ انطفأ الآنَ،
حالما هشَّمَ الصَّولجانَ
المُشرِقَ من شعاعِ وجهه،
متكبِّداً آلامَ إله، لكنْ موقِناً

أنَّه لا مناصَّ عائدٌ في الزَّمنِ الصَّائب.
غُبناً كان لِيكون
بتْرُ صِنيعهِ في الإنسان، خَتْراً؛
ومن الآنِ فصاعداً،
غايةُ غبطتِه أن يأوي إلى ليلةٍ عشقيَّة،
ويحرسَ إلى الأبد بعينيه البريئتين
هاوياتِ الحكمة. كذلك،
في بطونِ الجبالِ تخضرُّ صورٌ حيَّة،

لكنْ رهيبٌ كيف يذرُّ الإله
الخلقَ أشتاتاً، وإلى ما لا نهاية؛
كيف يهجرُ المرءُ
وجوهَ أخلائه ويمضي وحيداً،
مفجِّجاً وراءَ الجبال،
إلى حيثُ أُدْرِكَ الرُّوحُ السَّماويُّ مرَّتين،
وجهاً لوجه؛ ولم يكونوا تنبَّأوا به
قبل ذلك، غير أنَّه أمسَكَ بهم،

تماماً مِن [عُفراتِ] شَعرِهم، لحظةَ
استدارَ الإله الهاربُ،
على حينِ غرَّةٍ، نحوهم، فنَدَهوا عليه
أن يمكثَ، باسطين أيديهم
واحدُهم إلى الآخر، كما لو كانت
مغلولةً إلى بعضها بمِسَادٍ من ذهب،
وسمَّوه مِن حينها **شراً** ـ

لكن إذا ماتَ، هو الذي
فاقَ كلَّ البهاءات بهاءً، المحوَّطُ
بآياتِ ذاتِه، المُختارُ
مِن قِبلِ الآلهة؛ وإذا ما عمَّ
شواشٌ مؤبَّدٌ، فصُيِّرَ الذين عاشوا
معاً، في ذاكرته، طِلَسْماتٍ
لا يفقه بعضهم بعضاً؛
وإذا ما الرَّملُ والصَّفصافُ جُرِّفتْ،
والمعابدُ بُعثِرتْ؛ وإذا ما

ذُرِّيَتْ شيعةُ نصفِ الإله، وعُصِفَ
بذِكْرِهم، وأشاحَ العليُّ
هو الآخرُ بوجهه،
حتَّى ليس في السَّماء، يومئذٍ،
ولا على الأرضِ المخضرَّة،
مِن شيءٍ خالدٍ يُرى -
يومئذٍ، ما معنى هذا؟

إنَّه صنيعُ الباذرِ، إذْ
يرفُشُ القمحَ ويذروهُ في الفضاء،
بعدئذٍ انتُخِلَ بالنَّورج.
العُصافةُ تسَّاقطُ على قدميه، غير أنَّ
الحَبَّ يظهرُ في النِّهاية؛
ولا ضَيرَ إن ضاعَ شيءٌ منه،
ولا إنْ خبتْ صائتاتُ فمِه الحيَّة،
ذلك أنَّ صنيعَ الآلهةِ يشبه صنيعنا:
ليست غايةُ المولى

أن يُنجَزَ الكلُّ دفعةً واحدة.
مثلما المناجمُ تُغِلُّ حديداً،
وإتنا[1] يلفظُ راتنجَه الوهَّاج،
كذلك طافحٌ أنا بالوفرةِ
لأجلِ تشكيلِ صورةٍ، أجتلي فيها
ما أظنُّه أشباهَ المسيح.

لكن إن أحدٌ استنهضَ، بلهيفِ الكلامِ،
نفسَه على طول الطَّريق، وبوغِتُّ به يُنحي عليَّ،
فإنَّني، مبهوتاً، سأكوِّنُ للإله صورةَ عبدٍ ـ
قبلُ، رأيتُ بلا حُجُبٍ
أربابَ السَّماءِ واجمين، لا زعماً بأنَّني مختلفٌ،
ولكنَّها شهوةُ أن يُحاطَ بالأشياء علماً.
دِماثٌ همُ الأرباب، حتَّى إذا تولَّوا المُلكَ
كبُرَ مقتاً عندهمُ الإفكُ، أيَّانَ
ينقلبُ الإنسانُ وحشاً. لأنَّ المُلكَ

---

(1) مرَّ سابقاً، (م).

إلَّمْ يكن بيدِهم، كان باليدِ الأزليَّةِ للقدَرِ،
فيمَّسخُ إذَّاكَ عملهم من تلقاء نفسِه،
وحثيثاً يبلغُ سِدرةَ منتهاه.
حقَّاً، حين يصعدُ **الرَّكْبُ السَّماويُّ** عالياً،
فيومئذٍ شبيهَ الشَّمسِ يُسَمَّى بالقوَّة
الابنُ المغتبطُ، ابنُ الأعلى.

كما لو برمزٍ سرِّيٍّ، تميل هراوةُ الغناء
مشيرةً نحو الأسفل،
حيث لا شيء آنئذٍ اعتياديٌّ.
[هراوةٌ] توقظُ الموتى،
الذين لم ينخَرْهم بعدُ سوسُ المادَّة.
لكنْ ثمَّة عيونٌ جمَّة
تتوانى، حياءً، عن اجتلاءِ الضَّوء؛ نوراتُها
لا تتفتَّحُ بشعاعٍ ثاقب:
رسنٌ مذهَّبٌ يلجمُ عزمَها.
حتماً، يلزمُ شعاعٌ هِفٌّ أن يسقطَ،

في غفلةٍ مِن العالَم المجحود،
مِن [أفقِ] **النَّصِّ** المقدَّس
على الهُدْبِ المتورِّمة المنفَّشة،
كيما تتنعَّمَ تلك العيون بالغبطة،
وتستقرئ بسكونٍ [مرموزاتِ] الضَّوء.

فإذا كان الآلهةُ مُدلَّهين، الآنَ،
في حبِّي، كما أحسبُ،
إذنْ فانظرْ كم هو فائقٌ حبُّهم لك.
لأنَّني موقنٌ تمامَ اليقين
أنَّ إرادةَ **الأبِ الأبديِّ**
مكرَّسَةٌ، أشدَّ ما يكون، لك وحدك.
صامتةٌ هي إشارته
في لُجِّ سماءٍ رعَّادة؛ أسفلَها ينتصبُ
أحدُهم مدى الدَّهر. فالمسيحُ حيٌّ، لا يزال.
لكنَّ الأبطالَ، أبناءَه، أقبلوا جميعاً،
ووُضِعت الصُّحف المقدَّسة من لَدُنه،

فيما الأرضُ، بمآثرها وأمجادها، منهمكةٌ بتأويلِ البرق،
كأنَّها في استباقٍ لا يُكبَح.
لكنْ، ها هو هناك أيضاً، محيطٌ
بكلِّ ما صنعَ علماً، منذ أوَّل البدء.

منذ آمادٍ سحيقة
ومجدُ الآلهةِ خافٍ لا يُرى.
أولئك، عهدُهم ربَّما
اقتيادُ أصابعنا حين نكتب، فيما القلبُ
يتمزَّق، حيرةً، بفَوراتِه.
ذلك أنَّ كلَّ سماويٍّ يلتمسُ قرباناً،
فإذا أُغفِلَ أحدٌ منهم
حجبتْ يداه النَّعماءَ عنَّا.
هكذا، جهالةً، عبَدنا أمَّنا الأرض،
وبالأمسِ، أيضاً، عبَدنا نورَ الشَّمس،
غير أنَّ الأبَ، ذلك المهيمن
على كلِّ شيء،

يبتغي، فوق أيِّ شيءٍ آخر، أن تُحفَظَ
الكلمةُ الرَّاسخة، وأن يفسَّرَ الكائنُ مليًّا.
ذلك هو ميثاقُ النَّشيد الألماني.

ذكرى[1]

نسَمَتْ ريحُ الشَّمالِ[2]؛
أحَبُّ الرِّياح إليَّ -
لأنَّها تؤجِّجُ عزمَ البحَّارة
وتغويهم بمِلاحاتٍ رخيَّة.
إذنْ فامضِ الآنَ
وحيِّ **الجارون**[3] البهيَّ،
وحدائقَ **بوردو**،
هنالك حيث الطَّريق
تندغمُ بالضِّفَفِ المخدَّدة،

---

(1) كُتبتْ سنة 1803، ونُشِرت لأوَّل مرَّة سنة 1808، وهي مليئة بـذكريات الشَّاعر عن مدينة بوردو الفرنسيَّة التي أقام فيها، كمُـرَبٍّ لأبنـاء القنـصل الألماني هناك، منـذ وصـوله إليهـا في 28 كـانون الثـاني/ ينـاير 1802 ولفترةٍ امتدَّت لأربعة أشهرٍ تقريباً؛ (م).

(2) حرفيَّاً: الرِّيح الشَّماليَّة الشَّرقيَّة، (م).

(3) نهرٌ يقع في جنوب غربي فرنسا وشمال كاتالونيا في إسبانيا، وقعت قربـه معركة بوردو، أو معركة وادي الجارون، (م).

والسَّرِيُّ يهوي عميقاً
في النَّهر العظيم،
فيما يُطِلُّ مِن أعلى
زوجٌ نبيلٌ
مِن بلُّوطٍ وحورٍ مُفَضَّض -

ما زلتُ أذكرُ ذلك، وأذكرُ
كيف تحني البُوْقِيصا[1]
تيجانها الرَّحراحة على الطَّاحون،
بَينا ترتفعُ في الحَوشِ
تينةٌ مفردة؛ وفي العُطَل
ترى النِّسوةَ السُّمْرَ هناك يمشين
على أرضٍ من حرير،
تحتَ سماءِ آذار،
آنَ اعتدالِ الليلِ والنَّهار -، إذْ
تهوِّمُ النَّسائمُ

(1) جنس أشجار حرجيَّة وتزيينيَّة من الفصيلة البوقيصيَّة *Ulmaceae*، (م).

فوق الممرَّاتِ الخاملة،
مثقلةً بأحلامٍ ذهبيَّة.

[إذنْ]، فلتناولني الآنَ يدٌ
تلك الكأسَ المعطَّرة
الطَّافحة بنورٍ أقْتَم ـ عَلِّي
أستكِنُّ؛ آهِ ما أشهى الغُفُوَّ
في طيَّاتِ الظِّلال.
إنَّما البؤسُ
أنْ تُفرِغَ روحَك أفكارُ الفانين؛
والخيرُ في الكلمة:
في البوحِ بأفكارِ القلب،
وتسقُّطِ الأخبارِ الكثيرة
عن أيَّامِ الحبِّ،
وما تمَّ مِن ثَبْتِ الأعمال.

لكنْ، أين هُمُ الرُّفقاء؟ ـ

أين **بيلارمين**[1] وصحبُه؟ البعضُ
يأنفُ الذَّهابَ إلى المصدَر،
لأنَّ كلَّ ثراءٍ
مبتدؤه البحر؛
لكأنَّهم رسَّامون، همُ الذين
يقتطفون بهاءَاتِ الأرض،
ولا يستنكفون عن الحرب المجنَّحة،
ولا عن العيشِ في عزلةٍ
سنينَ طوالاً
تحت الدَّقلِ المعرَّى -
حيث المساءاتُ لا توقدُها أعيادُ المدينة
ولا عزيفُ الأوتار، والرَّقصاتُ المحلِّيَّة.

---

(1) في العمل الرِّوائي الوحيد لهولدرلِن بعنوان "هيبريون"، أو النَّاسك في بلاد اليونان، والذي ظهر الجزء الأوَّل منه سنة 1797م، بيلارمين هو متلقِّي رسائل البطل، وربَّما كان هولدرلِن يُلمِح من خلاله إلى صديقه سِنكلاير؛ (م).

أمَّا الآن، فنحوَ **الهندِ**[1]

مضى الرِّجال،

طاوين القممَ المذروَّة بالرِّياح

والتِّلالَ المغشَّاةَ بالكروم،

حيث ينحدرُ **الدُّوردون**[2]

مع **الجارون** العظيم،

ويتصبَّبُ ثرَّاً رحيباً كالبحر.

ولكنَّ البحرَ يهبُ الذِّكرى وينهبُها،

والحبُّ، بالمثلِ،

يعشِّقُ العيونَ بالعيون؛

أمَّا ما يدومُ فيؤسِّسه الشُّعراء.

---

(1) الهند هي المصدَر الذي ألمح إليه هولدرلن في المقطع الرَّابع من هذه القصيدة. البحَّارة الأوائل ظنُّوا أنَّ باستطاعتهم الوصول إليها بالإبحار غرباً.

(2) نهرٌ في جنوب غرب فرنسا يصب في خليج بسكاي بعد التقائه مع نهر الجارون، (م).

إيستروس[1]

أقبلي الآن، أيَّتها النَّار!

فنحن بتوقٍ نرتقبُ لِياحَ الفجرِ،

علَّنا نسمعُ، إذا ما طرَحَنا

البرهانُ أرضاً،

صخبَ الهياجِ في الغابات.

من تخومِ **السِّند** البعيدِ،

وتخومِ **ألفيوس**[2]

أتينا مُنشدين، بعدما بحثنا دهراً

عن خير مُستقَرٍّ لنا:

بدون أجنحة

ليس في مُكْنةِ أحدٍ بلوغُ

---

(1) هو الاسم الإغريقي القديم لنهر الدَّانوب ويعني "الجارف والسَّريع". كُتبتْ هذه القصيدة سنة 1803، ونُشِرت سنة 1916؛ (م).

(2) أحد الأنهار في الميثولوجيا الإغريقيَّة، (م).

بُغيتِه التَّالية

عِبرَ نهجٍ مستقيمٍ،

ولا العبورُ إلى الجهة الأخرى.

ولكنْ شئنا أن نشيِّدَ هنا،

ذلك أنَّ الأنهارَ تَعزِقُ

الأرضَ. هنا كلَّما طلعَ عشبٌ،

ونزلتِ البهائمُ

إلى الضِّفاف صيفاً،

نزلَ الإنسان معها ليشرب.

ولكنَّه **إيستروس** يُدعَى. بهيٌّ

مجراه. فوق العُمُدِ

تحترق الأوراق وتفرِّخ. معاً تنتصبُ

في بدائيَّتها؛ ومن فوقها،

وزنٌ آخر، القبَّةُ

النَّاتئة مِن صخرٍ. لا عجبَ إذنْ

أنَّ **إيستروس** استضافَ **هرقل**[1]،

هذا الذي شعاعُه

بلغَ قمَّة الأوليمب،

آتياً من البرزخِ المستعِر

بحثاً عن ظلٍّ: ذلك أنَّهم هناك

باللظى امْتُلِئوا،

ولكنَّ النَّفسَ تطلبُ الطَّراوةَ أيضاً،

ولأجل ذلك جاء إلى هنا

إلى منابعِ الماء والضِّفافِ السُّمر

والأرائجِ العالية،

إلى دُجنةِ غابات الشُّوح

حيث يجوب صيَّادٌ في الظَّهيرةِ

وتُسمَعُ فرقعةُ الرَّاتنج

مِن نموِّ أشجار **إيستروس**.

---

(1) وفقاً للشَّاعر اليوناني بنداروس فإنَّ هرقل اجتلبَ الزَّيتون من ضفاف نهر إيستروس وجعلَ من أغصانه تيجاناً للفائزين في الألعاب الأولمبيَّة؛ (م).

ولكنْ هو ذا يتراءى لي

منقلباً على عقبيه؛

مِن الشَّرقِ

أتخيَّلُ مَقدَمَه. وما أكثر ما ينبغي

أن يُقالَ عن ذلك. ثمَّ ما لَه

معتصمٌ هكذا بذُرْواتِ الجبال؟ الآخَرُ[1]،

الرَّاينُ، يتوارى

في خاصرته. كذا، لا تمضي الأنهارُ

إلى مكانٍ قحْلٍ سُدىً، فلِمَ؟ لتكونَ علامةً،

لا شيء آخر، علامةً خالصة، تحملُ

في داخلها الشَّمسَ والقمرَ متلازمَين،

وتترحَّلُ ليلاً ونهاراً،

وتحفظُ الآلهةَ في وليجةٍ دافئةٍ واحدة.

لذلك كانت الأنهار

بهجةً للإله أيضاً. وإلا فكيف

هبطَ إلى الأرض إذن؟ كلُّ خُضْرةٍ في الأرض

---

(1) يقصد بالآخر نهرَ الرَّاين، (م).

هي ابنةٌ للسَّماء. ولكنَّ **إيستروس**
دِنفاً يبدو، مُكرَهاً،
وعلى التَّقريبِ مُزدرَىً.

لأنَّه، عندما يبزغ فجرُ غُلمتِه،
ويكون محتَّماً عليه
أن يكبرَ، فيما الآخَرُ هناك
ينتفخ زهْواً ويهيجُ ويزبدُ مثلَ مُهرٍ
يصِرُّ بأسنانه والرِّيحُ
من بعيدٍ تسمعُ رهجَ هياجِه،
يرضى هو بذاتِه؛
ولكنَّ الصَّخرَ يحتاجُ جَرْحاً
والأرضَ صَدْعاً،
وإلا فكيف نزرعُ وأين نأوي؟
وحده صنيعُ النَّهرِ
مستغلِقٌ على الإدراك.

منيموزين[1]

(الصِّياغة الثَّالثة)

هي ذي الأثمار، مختمرةٌ ومغطوطةٌ في النَّار،
مطهوَّةٌ ومصوغةٌ في الأرضِ؛ والقانون الآن
أنْ ينسربَ كلُّ شيءٍ كالأفعى،
نبويَّاً، حالماً عندَ هَضْباتٍ سماويَّة.
وجُلُّ الأشياء ينبغي أن تُصان
كما لو كانت وَسْقَةَ أحطابٍ على الأكتاف.
ولكنْ، ما أخبث المسالك!
مثلَ أحصنةٍ شاردة
تندفعُ العناصرُ الحبيسة

---

(1) إلهة الذَّاكرة في الأسطورة الإغريقيَّة، ابنةُ أورانوس (السَّماء) وجايا (الأرض)، التي أثمر زواجها من زيوس إلهات الإلهام التِّسع. يُرجَّح أنَّ هذه القصيدة كُتبت في خريف 1803، ونُشرتْ لأوَّل مرَّةٍ (لكن منقوصةً) سنة 1916؛ (م).

والقوانينُ الأرضيَّة البائدة. وأبداً،
ثمَّة توقٌ إلى الحلولِ في المطلَق. غير أنَّ
جلَّ الأشياء ينبغي أن تُصان.
الوفاءُ قبل كلِّ شيء. وبعدُ، حريٌّ بنا
ألا ننظرَ أمامَنا ولا خلفنا.
عِوَضَ ذلك، فلننخرِطْ في الرَّجَّة
كما لو كنَّا
في مركبٍ يهزهزُه البحر.

لكن ما قولُنا في ما نُحبُّ؟ ـ شروقاتٌ
تغمرُ الأرضَ، وهباءاتٌ مجفَّفة،
وظُلَلُ الغاباتِ مفتوحةٌ كالمنازل، وفي الأعلى
يطلق الدُّخان زهورَه بهوادَةٍ،
عند التِّيجانِ البُرجيَّةِ العتيقة. عذبةً
تنقلبُ هذه العلامات اليوميَّة
حين يجرحُ، على النَّقيض، أرواحَنا
شيءٌ سماويٌّ. لأنَّ الثَّلج،

مثلَ زنابق الوادي، رمزُ سخاءٍ،
هو الذي، حيثما كانَ، يمنحُ لؤلؤانَه
هنا وهناك، فوق مروجِ الألبِ، نصفَ مشغولٍ بالأخضر،
بَينا المترحِّلُ إيَّاه يحدِّثُ قرينَه
عن الصَّليبِ المغروسِ، تذكارَ موتٍ،
في أقاصي الدَّربِ السَّامقِ، وقد أهاجَه الآخرُ البعيد،
فما يكون ذلك إذنْ؟

ها! عندَ شجرةِ تينٍ،
خرَّ **آخيلُ**، آخيلي، صريعاً،
و**آياسٌ**[1] مضطجعٌ في أوجرةِ البحرِ،
عند مدافقِ **سكاماندر**[2] ـ

---

(1) بطلٌ شارك في حرب طروادة، بعد مقتل آخيل اختلف مع أوليس على درع وسلاح آخيل، فاقتتلا واحتكما إلى الجنود الذين حكموا لصالح أوليس فغضب آياس وأعلن الحرب على الإغريق ومضى ليقتل الجيش الإغريقي بقيادة أوليس؛ لكنَّ آثينا تصدَّت له وجعلته يقتل قطيعاً من الخراف وهو يحسبهم الجيش الإغريقي، وعندما أفاق ندم وشعر بالخزي والعار فانتحر، (م).

(2) هو نهرٌ قريبٌ من مدينة طروادة مذكورٌ في قصائد هوميروس، (م).

في الأرضِ الغريبة،
ثابتاً على أعرافِ **سَلاميس**[1] التي لا تزعزَع،
وهزيزُ الرِّيح يملأ الهياكل،
مات **آياسُ** العظيم -
و**فَطْرُقلُ**[2] مات في زردِه الملكيِّ. وكذا آخرون ماتوا.
لكن على سفوحِ **قيثاريون**
تقومُ **إليوثير**[3]، مدينةُ **منيموزين**؛ تلك التي
بعدما خلعَ الإلهُ معطفَه ذاتَ مساءٍ
حلَّتْ هي الأخرى شعرَها.
ذلك أنَّه لا شيء يكدِّرُ الآلِهة
مثلَ امرئٍ لا يرعى نفسَه ويحصِّنها، مع أنَّ ذلك
حقٌّ عليه؛ هو الذي
يذهب كلُّ حزنه سُدىً.

---

(1) الجزيرة التي ولِد فيها آياس، (م).
(2) الاسم المعرَّب للبطل اليوناني الأسطوري باتروكلُس أحد شخصيَّات الإلياذة؛ كان صديقاً لآخيل، (م).
(3) مدينة على السُّفوح الجنوبيَّة لجبل قيثاريون في مقاطعة بيوتيا اليونانيَّة، (م).

دُموع[1]

أيُّها الحبُّ السَّماويُّ، الولَهُ التَّحنانُ، ليتني
أنساكَ، ليتَ... وأنتنَّ اللواتي مِن القدَر نسغُه،
المغشيَّاتُ بالنَّار والمنسجراتُ بالرَّماد،
وكنتنَّ من قبلُ مُقفراتٍ ومُوحِشات، أيَّتها

الجزر الحبيبة، يا عيون أرضٍ خرافيَّة، ليتَ
أنساكنَّ، أنا الذي لا أعبأ الآن
إلا بكنَّ، بالشَّواطئ التي يكفِّر فيها الحبُّ الوثنيُّ
عن آثامِه، ولا يكفِّرُ إلا للسَّماء.

ذلك أنَّ الجميع هناك أدَّى فروضه حامداً،
أيَّامَ الجمال، المقدَّسون، والأبطالُ

---

(1) كُتبتْ، أو على أقلٍّ تقديرٍ عُدِّلتْ للنَّشر، في كانون الأوَّل/ ديسمبر 1803، ونُشِرت سنة 1805 ضمن مجموعة بعنوان "أناشيد الليل". "الدُّموع" تصوِّر حنين هولدرلن الجارف إلى جُزر اليونان؛ (م).

المتَّقدون، والشَّجرُ الغفيرُ، وحتَّى
المدن نفسُها كانت ماثلةً هناك، جليَّةً

جلاءَ رجلٍ عميق التَّفكُّر؛ أمَّا الآن
فالأبطالُ بادوا، وجُزر الحبِّ
شَوِهَتْ أو كادت. فلا غرْوَ إذن
أن يُخان الحبُّ في كلِّ مكانٍ ويُسَفَّه.

آهِ أيَّتها الدُّموع الرَّقيقة، لا تطفئي
نورَ عينيَّ عن آخِرِه؛ أبقي لي، بعد كلِّ
ما أخذتِه منِّي نهباً وتدليساً، ذكرى واحدة
فقط، تحيا من بعدي وتشرِّف ذِكري.

شـيـرون[1]

أين أنت، أيُّها النُّور الآرِق، يا مَن دأبكَ
النَّأيُ كلَّما أزِفَ الوقت، أين أنت، أيُّها النُّور؟
القلبُ ساهدٌ، ولكنَّ الليل المذهل
ما فتئ يُطبق عليَّ ويُبهرني.

كنتُ فيما مضى أقفو عشبَ الغابة،
يَحموراً بضَّاً على كتفِ التَّلِّ، ولم يكُ ذلك سُدىً،
لم يكْذِبني يوماً نداءُ الطَّيرِ مِن رُسُلك،
لأنَّك حرَّاناً كنتَ تأتي على الدَّوام

---

(1) عُدِّلتْ سنة 1803 عن قصيدةٍ سابقة بعنوان "الشَّاعر الأعمى"، ونُشِرت سنة 1805 ضمن مجموعة "أناشيد الليل". شيرون في الأساطير الإغريقيَّة، وهو قنطورٌ (إنسانٌ حصان)، كان ابناً لكرونوس (أحد أخوة زيوس)، ولذلك كان خالداً، غير أنَّه كان مصاباً بجرحٍ مؤلمٍ لا شفاء منه حدَّ أنَّه كان يتمنَّى الموت، ولكنَّ هرقل، الذي تسبَّب له بالجرح عن غير قصدٍ بواسطة سهمٍ مسمومٍ، عرضَ عليه الموتَ والتَّنازلَ عن خلودِه بالحلول مكان برومثيوس، فوافق، وتكريماً له على صنيعه النَّبيل خُصِّص له مكانٌ في السَّماء هو ما يُسمَّى بكوكبة قنطورس؛ (م).

علَّك تجد عندي مُهراً أو حديقة،
أو هِدايةً لقلبك، أوه أيُّها النُّور، أين أنت؟
القلبُ صحا من جديدٍ، وأنا
ما زلتُ حبيسَ الليل الوحشيِّ المهول.

قديماً، الأرضُ أعطتني
باقتها الأولى مِن صعترٍ وزعفرانٍ وحنطة.
تحت الأنجمِ البليلةِ لَقِنْتُ عِلمي،
ولم أحِط علماً إلا بما له اسمٌ. ثُمَّتَ

أقبَلَ هو، المنتصب، نصفُ الإله،
أجيرُ **زيوس**، فاجتثَّ من الحقول سحرَها
وأبدلَ به الوحشة. وها أنذه
أجلس وحيداً، السَّاعةَ تلوَ السَّاعة، وأفكاري

تؤلِّف من غيمِ الوَلَه ونُدُوَّةِ الأرض
صُوَراً، لأنَّ السُّمَّ بيننا؛ فيما أصغي مليَّاً
إلى البعيد، إن كان مُقبِلاً
عليَّ حبيبٌ مُخَلِّصٌ، أم لا.

الآن، أسمع هديرَ مركبةِ الرَّاعدِ
في الظَّهيرةِ، مُقبلاً، هو المُشار إليه بالبنان،
أعمدةُ البيت تهتزُّ لمقدَمِه، والأرضُ
تتطهَّر، والحزن يتصادى في إثره.

أسمعُ في الظُّلمة صوتَ الظَّافرِ، أسمعُه
في كمدِ المقتلَة، صوتَ مخلِّصي،
ومُترفةً بثمارها وأسرارها أرى الأرضَ
تحتَ أقدامه، مثلَ نارٍ هائلة.

ما بين حزنٍ وفرح، تتقلَّبُ الأيَّامُ
في عين النَّاظر، ولكنَّ العذابَ واصبٌ
على المفردِ الآيلِ اثنين في الشَّكل،
ولا أحدَ بتَّةً يعرف الأمثل.

تلك هي شوكة الإله؛ فمن ذا الذي
يؤثرُ الحيفَ الإلهيَّ على ذلك؟

ثمَّ بيننا حلَّ الإله، في بيتِ الكائن،
سافِرَ الوجه، فإذا الأرضُ غيرُ الأرض.

نورٌ! نور! حُرَّاً، فلتتنفَّس الآنَ
ولتكرعِ الفجرَ يا صفصافَ أنهاري.
قويمٌ أثرُ الخطوِ، وبالمهاميز، تبزغُ الآن
من منفاك المزعزَع، أيُّها المهيمن،

يا نجمي النَّهاريَّ الشَّريد؛ وأنتِ أيضاً،
أيَّتها الأرض، تبزغين، يا مَهدي الوادعَ،
وبيتَ آبائي، مَن لم يتمدَّنوا قط،
وانضووا بين الغيوم وبهائم الغابات.

فاتَّخِذْ لكَ الآنَ فَرَساً وزَرَداً،
اتَّخذْ رُمحاً، أيُّها الفتى. جوابُ الآلهة
أبداً لا يُنقَض، ومعه
سيبرُزُ هرقلُ آيباً، مِن بعد انتظار.

إلى الأمل[1]

أيُّها الأملُ، المُجِدُّ اللطيفُ الرَّحيم،
يا مَن لا تصدِفُ عن بيوتِ الحزانى،
وبفرحٍ، أيُّها الأثيلُ، تقفُ ظهيراً
ومُجيراً، بين الفانين وقوى السَّماء،

أين أنت؟ لم أعشْ إلا قليلاً. لكن بارداً
ينفثُ مسائي أنفاسَه؛ وها أنا هنا
ساكنٌ مثل الظِّلال، وقلبي المستوحدُ
يرتجفُ في صدري، مجرَّداً من الغناء.

هناك في وادٍ مُعشبٍ، حيث ينساب طريًّا
الماء المنبجسُ كلَّ يومٍ، والزَّعفرانُ البهيُّ يتفتَّحُ

---

(1) عُدِّلتْ للنَّشر في كانون الأوَّل/ ديسمبر من سنة 1803، ونُشِرت سنة 1805 ضمن مجموعة "أناشيد الليل"؛ (م).

في الخريف أمامي، هناك في كنفِ الصَّمت
أريدُ، أيُّها اللطيفُ الرَّحيم،

أن أبحث عنك، أو عندما في مَوْهِنٍ من الليل
تموجُ الحياة اللامرئيَّة بين الشَّجر،
ومِن فوقي تتفتَّحُ الأزهارُ الأبديَّةُ الغِبطة،
النُّجومُ الفائقةُ اللألاء، عندئذٍ

اهبط من حدائق أبيك، يا بن الأثير،
فإذا لم يُقيَّض لك أن تأتي
في هيئة روحٍ أرضيَّة، فاصعق إذَّاكَ
قلبي، اصعقه بصورةٍ أخرى.

أدهرُ الحياة[1]

يا مدائن الفرات،
وساحاتِ تدمُر،
يا غابات الأعمدة في سهول الصَّحراء،
ما أنتِ الآن؟
تيجانُك، لمَّا جاوزتِ
حدودَ النَّفَس، نزعتْها عنكِ
النَّارُ ودخانُ السَّماويِّين؛
أمَّا الآن فإنِّي قابعٌ تحت الغيوم (كلُّ غيمةٍ
تنضحُ سلاماً)، بين البلُّوطِ المنسَّق،
على مرجٍ ملكتْ عليه الظِّباء،
فيما تتراءى لي، غريبةً
ومائِتة،
أطيافُ المباركين.

---

(1) كُتبت أو عُدِّلت للنَّشر في كانون الأوَّل/ ديسمبر من سنة 1803، ونُشِرت سنة 1805 ضمن مجموعة "أناشيد الليل". يلمس القارئ عند الشَّاعر، في هذا النَّص، وعياً غريباً بالزَّمن، وإحساساً مخيفاً بالوحدة والدَّمار؛ (م).

منتصفُ الحياة[1]

طافحةً بكُمَّثراةٍ صُفْر
وورودٍ وحشيَّة
تتدلَّى الأرضُ في ماء البحيرة.
ها أنتَ، أيُّها البجعُ البهيُّ،
ثمِلاً بالقُبَل، تغطُّ الرُّؤوسَ
في موجِ الصَّحوِ المقدَّس.

لكن، واهاً إذا جاء الشِّتاء،
أين سأجدُ الزَّهرَ،
والنُّورَ، وظِلَّ الأرضِ؟
الجدرانُ تنتصبُ أمامي
باردةً خرساء،
ودوَّاراتُ الهواء
تخشخشُ في الرِّيح.

---

(1) كُتبتْ أو أعِدَّتْ للنَّشر في كانون الأوَّل/ ديسمبر 1803؛ ونُشِرت سنة 1805 ضمن مجموعة "أناشيد الليل". عندما نُقِل هولدرلن إلى المصحَّة في توبنجن كان قد بلغ منتصفَ عمره؛ (م).

"إذْ تعبرُ الطُّيور بهوادةٍ"[1]

إذْ تعبرُ الطُّيور بهوادَةٍ
يلبث ملِكُها مترصِّداً، فيما
تهبُّ المُجريَاتُ
طريَّةً غضَّة على صدرِه
وهو هامدٌ في صمتِ العُلوَّات،
في الأثير، ومن تحته
ينبسطُ مشعَّاً الثَّراءُ الأرضيُّ، وبصحبتِه
لأوَّل مرَّةٍ النَّشءُ الباحث عن فتوحات.
ولكنَّه مع خفقِ الأجنحةِ
يهدأ.

---

(1) يرجَّح أنَّ هذا النَّص كُتبَ قبل سنة 1806، ولم ينشر حتَّى سنة 1916؛ وهو على الأغلب جزءٌ من قصيدةٍ مفقودة؛ (م).

"كما عندَ الشَّواطئ"[1]

كما عندَ الشَّواطئ حين تشرعُ الآلهةُ
بالبناء ويُبحِرُ بجلال
صنيعُ الموجِ المتعذِّرُ إيقافه موجةً
بعدَ موجة، والأرضُ
تزيِّن نفسَها، وتجيء مِن ثَمَّ الغبطة،
غبطةٌ عُلويَّةٌ شجيَّة، ترمِّمُ كلَّ الأعمال؛
كذا عندَ القصيدةِ
حين يومئ إله الخمرةِ ويَعِدُ،
ومع أثيرةِ اليونان،
مولودةِ البحر، بحجابٍ على عينيها،
يجرُّ الموجُ ثراءَه إلى الشَّاطئ.

---

(1) تاريخها مماثل للقصيدة السَّابقة، يرجَّح أنَّها قصيدة كاملة؛ (م).

موطن(1)

ولا أحد يعلم

دعوني أتمشَّى الآنَ
وأقطف التُّوتَ البرِّيَّ
كيما أخمدَ أوارَ عشقي للأرض
على مسالكها

ههنا حيث ـ
وأشواكُ الوردِ
وشجرِ الزَّيزفون إذ تعبق بعذوبةٍ صُحبةَ
الزَّان، في الظَّهيرة، فيما تهسهسُ
في حقل الذُّرة المُعتِم

---

(1) تاريخها مماثلٌ للقصيدتين السَّابقتين، وهي غير مكتملة. النزعة الحسِّيَّة واضحة في هذا النَّص والنُّصوص الثلاثة التالية؛ (م).

النموَّاتُ داخلَ السُّويقاتِ المنتصبة

وتلتوي أعناقُ الأكواز

مثل خريفٍ، ولكن الآن، تحت قبَّة

البلُّوط العالية حيث أتعجَّبُ

وأتساءلُ، يتناهى إليَّ عالياً من البعيد

الرَّنين الذَّهبيُّ

لناقوسٍ مألوف، في السَّاعة التي تستفيق

فيها الطُّيور من جديد. إنَّها الرَّفاهية.

"لبُّ الكرمةِ آنذاك..."[1]

آنذاك يطلبُ لبُّ الكرمةِ
النَّماءُ اللطيفُ ظلاً
ويكبرُ العنقودُ تحت قبَّةِ
الورقِ الغضِّ
قوَّةً للرِّجال
ورحيقاً للعذارى
وللنَّحلِ
إذ تلمسُهنَّ روحُ الشَّمس
ويثملْنَ بعَرْفِ الرَّبيع
فيتبعنَ أثرَه
مُساقاتٍ إلى أن يحترقَ
آخرُ شعاعٍ فيعُدنَ إلى بيوتهنَّ
مهمهماتٍ، وفي الأعلى تهسهسُ
بهواجسها
شجرةُ السِّنديان.

---

(1) نفس التَّاريخ السَّابق، وهي غير مكتملة؛ (م).

"على ورقة العنب"[1]

على ورقة العنب الصَّفراء المحمرَّة
يستريح العنقودُ، مأملُ النَّبيذ، وكمثله على الوجنةِ
ظلُّ القُرطِ الذَّهبيِّ المدلَّى
من أذن فتاة.

دون امرأةٍ سأبقى،
غير أنَّ العِجلَ، ولئن مزَّق
الحبلَ مرَّةً،
سهُلَ إيثاقه من جديد.

مؤوباً

---

(1) كُتبت سنة 1806م. قصيدة غير مكتملة، ولذلك نجد المقطع الثالث يقف عند مفردة واحدة فقط؛ (م).

ولكنَّ الباذرَ يحبُّ أن يرى

امرأةً تغفو

في رابعةِ النَّهار

فوق نسيجٍ مِن رَفْوِ يديها.

الفمُ الألمانيُّ

يعدمُ عذوبةَ الصَّوت،

لكن ما أعذبه

على اللحيةِ الوخَّازةِ

دفقُ القُبَل.

"عندما تتوهَّج فوق الكَرْمِ"[1]

عندما تتوهَّج [الشَّمس] فوق الكَرْم
وأسْوَدَ كالفحمِ
يبدو الكَرْمُ في قلبِ الخريف، تتنفَّسُ
قصباتُ الحياةِ باضطرامٍ أكبر
في ظلالِ الجفنات. لكنْ،
ما أجملَ أن نفضَّ على الملأ أرواحَنا
وحيواتنا القصيرة.

---

(1) مجهولة التَّاريخ، ولكن ربَّما كُتبتْ قبل سنة 1806، إلا أنَّها لم تُنشَر لأوَّل مرَّة حتَّى سنة 1951؛ ويرجَّح أنَّها مجرَّد مقطع من قصيدةٍ طويلةٍ إمَّا فُقِدتْ وإمَّا لم يُتم هولدرلن كتابتها؛ (م).

العُقاب[1]

بعيداً ترحَّلَ أبي، بلغَ
أعالي **جوتار**[2]
حيث تنحدرُ الأنهارُ مُعوَجَّةً
نحوَ **إترووريا**[3]،
ومستقيمةً فوق الثُّلوجِ
نحوَ **أوليمبوس**[4] **وهايموس**[5]
حيث يلقي **آثوس**[6]

---

(1) قصيدة غير مكتملة من قصائد هولدرلن الصَّعبة. ألَّفها قبل سنة 1806، ونُشِرتْ لأوَّل مرَّة سنة 1916؛ (م).

(2) Gotthard منطقة جبليَّة في سلسلة جبال الألب، تقع في سويسرا؛ (م).

(3) هكذا كانت تسمَّى في النُّصوص اليونانيَّة واللاتينيَّة المنطقة الواقعة وسط إيطاليا والتي تغطِّي اليوم أجزاءً من توسكانا وأومبريا ولاتيوم وإميليا رومانيا؛ (م).

(4) جبل الأوليمب، (م).

(5) جبال البلقان حاليّاً، (م).

(6) جبل آثوس، أو الجبل المقدَّس، يعود أقدم ذِكرٍ له إلى إلياذة هوميروس؛ (م).

ظلَّه على كهوفِ **ليمنوس**[1].

لكنَّه في البدءِ

مِن جهاتِ **السِّندِ** جاءَ مع أمِّي

مُضبَّبين بعَرْفِ الغابات.

غير أنَّ أبانا الأوَّل

كان ملكاً نابهَ الفِكْر

طوى البِحَارَ

وهو يهزُّ رأسَه الذَّهبيَّة انبهاراً

بسرِّ الأمواه

بَينا تتبخَّرُ سُحبٌ حمراء آنذاك

فوق الفُلْكِ والبهائمُ

تحدِّق خُرْساً في بعضها البعض

حالمةً بالكلأ والحلولِ

على أديم ذُرْواتٍ راسخة.

أوَّاه ...

.....

---

(1) جزيرة في اليونان كانت مكرَّسة لعبادة هيفايستوس إله الحدادة والنار؛ (م).

ههنا لنا الصَّخرُ مرعىً،
والقحْطُ سُقيا،
أمَّا وليمتنا فأرضٌ مخضلَّة.
فليجعلْ إذنْ مَن يطلب السُّكنى
سُكناه مُدرَّجاً
وليكنْ مقامُه أبداً
مُطِلاً على الماء؛ هناك
حيث كلُّ ما عليك فعله
هو أن تتنفَّسَ بعمقٍ،
وتنامَ مستنهضاً في الليل
ما صنعتَه في النَّهار. لأنَّه
حيثما تَكُن العيون مغشَّاةً
والأقدامُ مصفَّدة
يَكُنِ المُبتغَى.
أين بعدُ سترى...؟

"حيث بدأنا"[1]

حيث بدأنا كانت
الهاوية، خرجنا
مثل أسَدٍ حَنِقٍ ومُرتاب
على رجالٍ متوقِّدي البصيرة
في جحيمٍ
صحراء، منتشين
بالضَّوء وروحُ البهائم
معهم. لكنَّ صوتي سينطلق
من فورِه مثل كلبٍ في أُوارِ الشَّمس
على دروب الحدائق بأرضِ
فرنسا،

---

(1) الأرجح أنَّها كُتبتْ قبل سنة 1806، ولم تنشر حتَّى سنة 1951، وهي قصيدةٌ صعبة وغير مكتملة، تحمل ذكرياتٍ عن فرنسا، وعن فرانكفورت حيث عاشت سوزيته جونتار؛ (م).

أمَّا **فرانكفورت**، فماذا أقول عنها
سوى أنَّها على غرار تكوينِ الإنسان،
وختمِ الطَّبيعةِ،
سُرَّةُ الأرضِ[1]، وهذه الأزمُن أيضاً
هي الزَّمن وأرضُ **ألمانيا** المرقَّشة.
لكن عالياً، فوق جُرْفِ حدائقي
ثمَّة أكَمَةٌ بريَّة. أشجارُ كرزٍ. زفيرٌ واخزٌ يهبُّ
حول هوَّاتِ الصُّخور. وها أنا هنا
وكلُّ شيءٍ معي. تنثني شجرةٌ
شجرةُ جوزٍ عجائبيَّةٌ ناحلة
على عيون الماء... الكرزُ يتدلَّى من الغصون
ككُراتِ مرجانٍ فوق قُنِيٍّ خشبيَّة ـ
من هناك مرَّةً،
ونقرُّ بذلك الآن، كان النَّشيد الأكيد
للزُّهور مع
ولادةِ حضارةٍ بكرٍ في المدينة، حيث

---

(1) تعبير "سرَّة الأرض" أطلقه بنداروس من قبل على دِلفي، (م).

يهفو حدَّ الألمِ إلى المنخرين

عبقُ الليمونِ وزيتِ الإقليمِ المعتصَر، ذلك هو العرفان

الذي مُنِحتُه

مِن **جاسكونية**[1]. لكنَّ الشَّيء الذي دجَّنني وغذَّاني،

ولا يزال بعدُ مرئيًّا،

هو فرحُ النِّصال واللحمُ المشويُّ في الأعياد

المائدةُ والعنبُ الأسمرُ وأنا

اللقيطُ الأسمرُ، أوه

يا **نُوَّارَ ألمانيا**، سيكون قلبي

بلَّورةً موثوقة

تُظهِرُ جوهرَ الضَّوءِ [...] **ألمانيا**

(1) إقليمٌ جنوب غرب فرنسا، (م).

ربيع[1]

حين يهيج الفرحُ في الحقول وتعود
الأشياءُ بهيَّةً من جديدٍ وفي الجبالِ
يرتدي الشَّجر كُسْوَته الخضراء
نسائمُ خفيفةٌ تنبعث إذَّاك وغيوم،

وما أسعدَ البشرَ يومئذٍ، مسرَّةُ
المشي متوحِّداً على ضفاف الأنهر، السَّكينةُ،
النَّشوةُ والنَّضْرَةُ تتفتَّحُ معاً كالزُّهور،
ويومئذٍ ليس دفءُ الضَّحِك ببعيد.

---

(1) يرجَّح أنَّها ليست من بين قصائد مرحلته الشِّعريَّة الأخيرة؛ (م).

نُزهة[1]

تخومُ الغابِ فائقةُ البهاء،
لكأنَّها مخضوبةٌ على منعطفاتٍ خُضْر.
أطوفُ عبرَها، فتغدق عليَّ
سكينتَها العذبة مَثْوَبةً للأشواكِ التي
في قلبي، لِغُبشاتِ الظَّلام التي استفحلتْ
في رأسي، لأنَّه منذ البدء
أورثني الفنُّ والفِكرُ واصبَ العذاب.
في الوادي تمورُ لوحاتٌ خلابة،
فهي ذي، مثلاً، الجنائن والأشجار،
وهو ذا جسرٌ صغيرٌ، مِن تحته يجري نُهَيْرٌ،
بالكادِ يُرى. المشهد برمَّته
يشعُّ بهاءً، جذِلاً يلوحُ من بعيد،

---

(1) من قصائد المرحلة الأخيرة، نُشِرت لأوَّل مرَّةٍ سنة 1846؛ (م).

كمثلِ لوحةٍ برَّاقة، هنالك حيث أزورُ
كلَّما راق الطَّقسُ.
ألوهةٌ حَنونٌ تسوقنا أوَّلاً
مع الزُّرقة، ثمَّ تعدُّ لأجلنا الغمامَ،
في شكلِ قبابٍ رماديَّة، مثلومةٍ
ببروقٍ لافحةٍ وهزيمِ رعودٍ هائجة،
قبل أن ندركَ، مِن ثَمَّ، فتنةَ الحقول،
وينفجرَ الجمالُ صاعداً
من نبعِ الصُّورِ البدائيَّةِ الأوَّل.

ربيع[1]

ما أجمل أن نشهدَ سويعاتِ الفجرِ من جديد
حين ينظرُ المرءُ برضىً إلى الحقول،
ويسألُ النَّاسُ بعضهم بعضاً عن الأحوال،
والكلُّ يومئذٍ يتهيَّأ لعيشٍ رغيد.

تماماً كالسَّماء التي تتحدَّبُ وتنساحُ طولاً وعرضاً،
كذا الغبطة فوق البِطاح، في طلْقِ الهواء،
فيما القلوب جَوعى إلى حياةٍ مُجدَّدة، والطَّيرُ
تغنِّي آنذاك، تصدح بالغناء مثلَ خوْرَس.

وذلك الذي طالما استنطقَ قلبَه،
يكلِّمُ الآنَ عن حياةٍ منها تولَدُ الكلمة،

(1) كُتبتْ حوالي سنة 1832، ونُشِرتْ لأوَّل مرَّة سنة 1938؛ (م).

هو المغتبطُ دوماً أمامَ مُلكِه
ما لَم تنهش الأحزان روحَه.

حين يشعُّ بيتٌ، مشيَّدٌ عالياً قربَ السَّماء،
فسيحةً تبدو للمرءِ الحقولُ، والدُّروبُ
أبعد، فيعاودُ المرءُ النَّظرَ،
بَينا جسورٌ صغيرةٌ تعبرُ النُّهَير.

خـريف[1]

الخرافات التي تهجرُ الأرضَ الآنَ
عن الرُّوحِ التي كانت هنا وستعود،
هي ذي تعود إلينا مجدَّداً ـ ما أكثر
ما ستتعلَّمُ من الزَّمنِ المهدورِ خطفاً.

صورُ الماضي لا تغفُلُ عنها الطَّبيعة
أبداً، فما إن تكلحُ الأيَّامُ في أوجِ الصَّيف،
حتَّى ينزلَ الخريفُ إلى الأرض مجدَّداً،
ومجدَّداً تحومُ أرواح المطرِ في السَّماء.

في رمشةِ عينٍ كلُّ شيءٍ انقضى،
الحارث الذي كان مرئيَّاً عندَ محراثه

---

(1) كُتبتْ، وفقاً لناشر هولدرلن الأوَّل، في 16 أيلول 1837، ونُشرتْ لأوَّل مرَّة سنة 1846؛ (م).

يرى كيف يبلغ العامُ خُتمتَه جذِلاً ـ بِصُوَرٍ
كمثلِ هذه تتمُّ أيَّامُنا دورتَها.

كرةُ الأرضِ المدبَّجة بالصَّخر
ليست كغيمةِ المساء التي تتلاشى،
إنَّها مرئيَّةٌ في ذهبِ النَّهار
وذا هو الكمال الذي لا يكدِّره شيء.

ربيع[1]

من فوق الذُّرواتِ القصيَّة يهبط نهارٌ جديد؛
استفاقةُ الفجرِ تخرُجُ من دُغشةِ الغلَس،
منمَّقةً وجذلى، تبتسمُ للبشر،
تطعن البشرَ بالنَّشوةِ رويداً رويداً.

حياةٌ جديدةٌ ترفع حجابَها للمستقبل،
مُطلِعةً زهرَها، علامةَ عيشٍ رغيد،
والوادي الرَّحيب، بل الأرض برمَّتها تبدو طافحةً،
وإذْ يئينُ أوانُ الرَّبيع يولِّي الحِدادُ بعيداً.

خادمُكم المطيع
سكاردانِلِّي

3 آذار/ مارس 1648

---

(1) في هذه القصيدة والتي تليها يوقِّع هولدرلِن باسم إيطالي مستعار، هو سكاردانِلِّي، وبتاريخ زائف. نُشِرت هذه القصيدة لأوَّل مرَّة سنة 1909؛ (م).

مشهد[1]

يشعُّ علينا النَّهار المشرَّعُ بصُوَرِه،
فيما تبزغ الخُضرَةُ مِن الأقاصي المنبسطة،
قبل أن يطوي الغروبُ ضوءَ المساء،
ويهدِّئَ الضَّبابُ أصواتَ النَّهار.
لطالما بدا هذا العالَم موصَداً وغائماً مِن داخل،
ولطالما امتلأت نفوسُ البشر شكّاً وسُخطاً،
غير أنَّ الطَّبيعة الباهرة لا تني تبهِجُ أيَّامَهم،
وأسئلةُ الشَّكِّ المدلهِمَّة تلبثُ بعيداً.

خادمُكم المطيع
سكاردانِلّي

24 آذار/ مارس 1671

---

(1) نُشِرت لأوَّل مرَّة سنة 1870، (م).

إلى تُسِيمِر[1]

متنوِّعةٌ هي خطوطُ الحياة،
تنوُّعَ الدُّروبِ وحوافَّ الجبال.
ما نكونه هنا، يُكمله ربٌّ ما هناك،
بانسجامٍ، وأجرٍ أبديٍّ، وسلام.

(1) هو إرنست تسيمر، النَّجَّار الذي آوى هولدرلن وتولَّى رعايته في بيته بمدينة توبنجن خلال مرحلة جنون هذا الأخير من سنة 1807 وحتى وفاته سنة 1843م. كتب هولدرلن هذه القصيدة سنة 1812؛ أمَّا القصيدة التالية التي تحمل نفس العنوان فكتبها حوالي سنة 1825؛ (م).

إلى تُسيمِر

أقول: ما الذي يُعوزُ الرَّجلَ بعدُ،
إذا كان طيِّباً وحكيماً؟ أثمَّة شيءٌ آخر
يمكن أن يُشبعَ رغائبَ الرُّوح؟
أليستْ مآثرُه أنضجَ كرمةٍ في الأرض،

منها اغتذى؟ هو ذا المعنى. كثيراً
ما يكون الصَّديق معادلَ الحبيبة، وأكثر منه
معادلَ الفنِّ. أوه أيُّها الأثير، الحقَّ أقول لك:
روحُكَ هي روحُ **دايدالوس**[1] والغابة.

---

(1) مهندس وحرفي ماهر من أثينا، جاء ذكرُه في الأساطير الإغريقيَّة؛ يُقال إنَّه أبدعَ المتاهة لحبسِ المينوطور فيها، ولكن عندما ساعدَ آريادنه ابنة الملك مينوس على الهرب مع ثِسيوس قاتل المينوطور عاقبه مينوس على ذلك بأن سجنَه هو وابنه إيكاروس في المتاهة، فصنع أجنحةً له ولابنه من ريش الطَّير والشَّمع وهربا بها إلى صقلية، إلا أنَّ إيكاروس ورغم تحذيرات أبيه طارَ قريباً من الشَّمس، فذاب الشَّمع ولقي إيكاروس حتفه بعدما سقط في البحر؛ (م).

شتاء[1]

السَّهلُ عُريانٌ، وعلى الذُّرى البعيدة
لا تسطعُ إلا الزُّرقة، وأنَّى اتَّجَهَت الدُّروبُ الطَّويلة
فوجهُ الطَّبيعةِ واحدٌ لا يتبدَّل، النَّسَمُ عذبٌ
والمشهدُ لا يُتَوِّجُه إلا الصَّفاء.

السَّاعةُ الأرضيَّة تظلُّ مرئيَّةً للسَّماء
طوالَ النَّهار، [قبلَ أن] يطوِّقها الليلُ المنير،
عندما تنبلجُ عالياً حشودُ النُّجوم،
وتنفتحُ الحياة على وُسعِها مغتنيةً بالرُّوح.

---

(1) من قصائده الأخيرة؛ (م).

"في بهاء الزُّرقة"(1)

كمثل السَّداة داخلَ زَهرة ينتصبُ برجُ الكنيسةِ في بهاءِ الزُّرقة، بَينا تتفتَّحُ تويجاتُ النَّهار حول مئبرِه. سربُ السُّنونو الذي يطوِّق البرجَ، يطيرُ هناك كلَّ يومٍ عبر الزُّرقةِ نفسها التي تحملُ صرخاته منِّي إليكِ. نعلمُ الآنَ مقدارَ عُلُوِّ الشَّمس ما دام سقفُ البرج متوهِّجاً، السَّقفُ المسربَل بكَسْوَتِه المعدنيَّة. عالياً في الرِّيح، حيث الرِّيح لا تديرُ ريشةَ دوَّارةِ الرِّياح، تنتحبُ الدَّوَّارةُ بصمتٍ في الرِّيح. هناك، تحت الأجراس، تحت تلك الأدراج، تهمدُ الحياةُ مثلَ بِركة، ذلك أنَّه كلَّما تشذَّرت الأشكال اتَّضحتْ هُشوشة الإنسان. لكأنَّ النَّوافذَ التي ترنُّ الأجراسُ بين دفَّاتها بوَّاباتٌ في بهائها. البوَّاباتُ طبيعةٌ لاحقة، علامةٌ شجريَّة.

---

(1) خلال إقامة هولدرلن في توبنجن، وتحديداً بين عامي 1822 و1824، كان يتردَّد عليه كثيراً شابٌّ يُدعَى ويلهلم وايبلينجر. ألَّف هذا الشَّاب روايةً نشِرَت سنة 1823، عنوانها "فايثون"، واستخدمَ فيها سيرة حياة هولدرلن وكتاباته كمادَّةٍ لوصف وتصوير شخصيَّة البطل الذي كان شاعراً مجنوناً؛ ولقد وردت هذه القصيدة في الرواية كمثالٍ على أعماله الشِّعريَّة، ويرجِّح النُّقَّاد أنَّها من تأليف هولدرلن نفسه، ولئن رأى البعض أنَّ وايبلينجر حرَّفَ فيها؛ (م).

ولكنَّ الطُّهرَ جمالٌ أيضاً. مِن داخل، مِن قلب التَّنوُّع، روحٌ والهةٌ تنهض. فائقة البساطة هي الصُّوَر، فائقة القداسة، حدَّ أنَّ المرءَ يهاب وصفَها. أمَّا الآلهة، الرُّحماءُ كلُّهم، فهي ذي مملكتهم: العفَّة والغبطة. لربَّما قلَّدَ الإنسان ذلك؛ هو الذي كلَّما أوْنَتْه الحياة تطلَّع نحو السَّماء وقال: أفي مُكْنتي أن أكون أنا أيضاً هكذا؟ له أن يكون. لأنَّه ما دام التَّحنان، التَّحنانُ الخالصُ، قائماً في القلب، لن يكفَّ الإنسان عن قياسِ نفسه، غيرَ أسِفٍ، بالألوهة. أخفيٌّ هو الله؟ أم أنَّه بيِّنٌ بيانَ السَّماء؟ ثاني الأمرَين أرجَّح. الألوهة مقياسُ الإنسان. بلى، مليءٌ هو بالاستحقاق، ولئن أقامَ، شِعريَّاً، على هذه الأرض. غير أنَّ سُدَفَ الليل ونجومه، إذا أمكنَ القولُ، ليست أنقى من الإنسان، هذا المسمَّى صورةَ الله.

***

هل مِن مقياسٍ على هذه الأرض؟ لا. عوالمُ الخالق لا تؤخِّرُ أبداً مقدمَ الصَّاعقة. الزَّهرة جميلةٌ لأنَّها تحت الشَّمس تزهر. كثيراً ما تقع العين، في الحياة الدُّنيا، على موجوداتٍ حيَّة قد يُقال عنها إنَّها أجمل من الزَّهر. أوه، ذلك عرفته تمامَ المعرفة. فهل يبهجُ الآلهةَ أن يدمى القلبُ، وينشرخَ التَّكوين، وينقطع الموجودُ عن الوجود؟ على الرُّوح، في اعتقادي، أن تظلَّ نقيَّة: هكذا على أجنحةٍ، يبلغ العُقابُ، وفي فمه ترانيم الحمدِ ومعه تغاريدُ طيورٍ أُخَر، منبعَ القوَّة. إنَّها كينونة الكائن، تكوينُه. وأنتَ أيُّها

النُّهير الحلوُ، ما أبهاك متموِّجاً بصفاء، كعينِ الله عِبْرَ درب الحليب. أعرفكَ بما يكفي، ولكنَّ الدَّمع يبتدئ من العين. أرى حياةً متهلِّلةً تُطلِعُ زهرَها مِن حولي في شكلِ كائنات، أنا الذي، ببعضِ إنصافٍ، أشبِّهها بحَمَامٍ مستوحدٍ في فناء كنيسة. ولكنَّ الضَّحك البشريَّ يُكئبني، لأنَّني أمتلك قلباً. أأحبُّ أن أكون مُذَنَّباً؟ ربَّما؛ ذلك أنَّها كالطَّيرِ خاطفةٌ، نارُها زهرتُها، ونقاؤها نقاءُ أطفال. ليس للطَّبيعة البشريَّة أن تحلم بما هو أعظم. وذلك الحبورُ الزَّكيُّ، حبورُ العفَّة، يستحقُّ أن تمجِّدَه تلك الرُّوح الوالهة التي تهبُّ بين أعمدة الحديقة الثلاثة. فلتكلِّلْ رأسها بزهرِ الآسِ تلك العذراء الجميلة، ذلك أنَّه في طبيعتها وفي طويَّتها تشعُّ البساطة. بلى، ثمَّة آسٌ في أرض اليونان.

* * *

حين ينظر إنسانٌ في مرآة ويرى صورته هناك، كما لو في لوحة؛ فإنَّها كمثلِ إنسانٍ تبدو. لِصُورة الإنسان عينان؛ القمرُ، على الجانب الآخر، طيفٌ رقيق. لِلمَلِكِ **أوديب** عينٌ أيضاً أغلبَ الظَّنِّ. آلامُ هذا الإنسان تفوق كلَّ وصفٍ، كلَّ قول، كلَّ تعبير. إن كانت المسرحيَّة تصوِّر ذلك، فتلك هي الحجَّة. لكن ما هو شعوري إذْ أفكِّر فيكِ الآن؟ مجرورٌ أنا مثلَ أنهارٍ عند إحدى النِّهايات ـ نهاياتٍ منفسحةٍ انفساحَ آسيا. ألماً من هذا القبيل، ولا شكَّ، كان ألمُ أوديب. قطعاً، تلك هي

الحجَّة. هل تألَّم **هرقلُ** هو الآخر؟ يقيناً فعل. و**التَّوأمان**[1] في حميمِ خِلَّتهما، ألم يحملا بعض الألمِ أيضاً؟ أن تقارعَ الآلهةَ، مثلما فعلَ **هرقلُ**، لَهوَ عينُ الألم. وألمٌ كذلك شهوةُ الخلود. لكن أن تُغطَّى بالنَّمش، أن تُغطَّى كلُّك بالنَّمش، هو شكلٌ من أشكال الألم أيضاً. الشَّمس البهيَّة وحدُها المُلامَة: إنَّها تهتكُ كلَّ سِتْرٍ. الشَّمس تغري الغِلْمَةَ بالمضيِّ قدماً بالأشعَّةِ مثلما بالوردِ. ثمَّتَ، في الألمِ لا فرق، يا **أوديب**، بين ملِكٍ وفقير. آهِ يا بن **لايوس**[2]، أيُّها الغريب الشَّريد في أرض اليونان! الحياةُ موتٌ، والموتُ كذلك حياة.

---

(1) يقصد كاستور وبولاكس، ابنا ليدا (زوجة ملك اسبارطة) من زيوس كبير الآلهة، وكانا رفيقين لا يفترقان ولا يهابان شيئاً، مولَعين بالبحث وارتياد الآفاق دون أن يعرف النُّعاس سبيلاً إليهما؛ ترحَّلا بحثاً عن جزَّة الصُّوف الذَّهبيَّة؛ (م).

(2) ملك طيبة ووالد أوديب، (م).

فهرس

مُطارَحَةُ المُنادَى في ليلِ هولدِرلِن وبرقِه 5
"حين كنتُ فتىً" 10
عاشقان 13
إمبادوقليس 14
تهليلٌ بشريٌّ 16
آنذاك والآن 17
إلى ديوتيما 18
ديوتيما 20
التماسُ مغفرة 22
قوسُ الحياة (الصِّياغة الأولى 1798) 23
سقراط وألكيبيادِس 24
إلى الشُّعراء الشَّباب 25
"مرَّةً، مشتِ الآلهةُ" 26
إلى إله الشَّمس 28
إلى ربَّاتِ القَدَر 30
أغنيةُ هيبريون عن القَدَر 32

خمسةُ إبيجرامات 34
بروس هيآوتون 34
سوفوكليس 34
الشَّاعرُ الغاضب 35
الهازلون 35
جذرُ الشُّرورِ كلِّها 35
قوسُ الحياة (الصِّياغة الأخيرة 1800) 36
الآلهة 38
خبزٌ ونبيذ 40
"كما لو في يومِ عيدٍ" 51
نيكار 57
العودةُ للوطن 60
الاحتفالُ بالسَّلام 68
باطموس 79
ذكرى 95
إيستروس 100
منيموزين (الصِّياغة الثَّالثة) 105
دُموع 109
شيرون 111
إلى الأمل 115
أدهرُ الحياة 117

منتصفُ الحياة 118
"إذْ تعبرُ الطُّيور بهوادةٍ" 119
"كما عندَ الشَّواطئ" 120
موطنٌ 121
"لبُّ الكرمةِ آنذاك..." 123
"على ورقة العنب" 124
"عندما تتوهَّج فوق الكَرْمِ" 126
العُقاب 127
"حيث بدأنا" 130
ربيع 133
نُزهة 134
ربيع 136
خريف 138
ربيع 140
مشهد 141
إلى تْسِيمِر 142
إلى تْسِيمِر 143
شتاء 144
"في بهاء الزُّرقة" 145